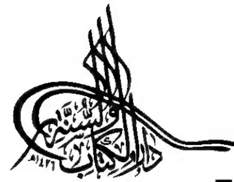
جامع شروح لمعة الاعتقاد
الهادي إلى سبيل الرشاد

تخريجاتها من كتب الإمام المحدث

محمد ناصر الدين الألباني

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

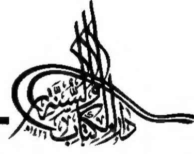
جامع شروح
لمعة الاعتقاد
الهادي إلى سبيل الرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ / ٢٠١٠ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١١٦٢٥ - ٢٠١٠





المقر الرئيسى : ٨١ شارع الهادي المحمدي متفرع من شارع احمد عرابي مساكن عين شمس– القاهرة
جمهورية مصر العربية
جوال : ٠٠٢٠١٤٤٥٢٨١٩١ - ٠٠٢٠١٠٦٢٨٠٥٨٥ تليفون وفاكس : ٠٠٢٠٢٢٢٩٨٠٦٠٥
موقعنا على الإنترنت : www.da -ketabsunah.com
البريد الإلكتروني Dar_alktabwalsunnah@hotmail.com
Dar_alktabwalsunnah@yahoo.com
info@dar-ketabsunah.com

مقدمة التخريج

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هدي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبد ورسوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: قال الله في محكم التنزيل: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ ﴾ [الذاريات:٥٦، ٥٧].

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**» عقب هذه الآية: هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه، وذلك يتضمن معرفته تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم. اهـ.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى

ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦].

وقال أيضًا: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١].

وقال جل وعلا: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة:٥-٨].

وقال جل شأنه: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة:١٦٣].

قال السعدي رحمه الله تعالى: يخبر تعالى – وهو أصدق القائلين- أنه ﴿ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فليس له شريك في ذاته، ولا سَمِيّ له ولا كفو، ولا مثل ولا نظير، ولا خالق ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك فهو المستحق لأن يؤلَّه ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه.

وما أكثر ما ورد في كتاب الله يحث الناس أن يوحدوا الله ولا يشركوا به شيئًا.

وأيضًا فإن أول ما دعى إليه - وَأَمَرَ أَنْ يُدْعَى إِلَيْهِ - النبي ﷺ هو التوحيد فعلى سبيل المثال لا الحصر، ما ورد في صحيح الإمام البخاري، ومسلم رحمهما الله ورضي عنهما: من قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟**» قال الله وسوله أعلم. قال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا. أتدري ما حقهم عليه ؟**» قال الله ورسوله أعلم. قال: «**أن لا يعذبهم**».

وأيضًا ما ورد في صحيح الإمام البخاري من قول النبي ﷺ لمعاذ حينما بعثه إلى اليمن : «**فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى** .....الحديث»

وصدق الحافظ الحكمي حينما قال رحمه الله:

اعلم بأن الله جل وعلا ... لم يترك الخلق سدى وهملا

بل خلق الخلق ليعبدوه ... وبالإلهية يفردوه

وأيضًا كما أن الكتاب والسنة وأقوال السلف تحث على توحيد الله واتباع نبيه؛ فإنهم كذلك يحذرون من الشرك كبيره وصغيره دقه وجله.

فعلى سبيل المثال قول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٦،٦٥].

وأيضًا ما ورد في بيان أن الشرك الذنب الذي لا يغفر إذا مات صاحبه عليه، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨].

وغير ذلك الكثير في ذم الشرك والمشركين، من آيات محكمات، وأحاديث صحاح، وأقوال لسلفنا الصالح.

فعلى عباد الله أن يستجيبوا لربهم ويبعدوا بأنفسهم عن ذلك الداء العضال الذي هو الشرك، متمسكين بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من توحيد، وبينه لهم العلماء الربانيين، فإنه من رحمة الله تعالى بنا أن أرسل لنا الرسل مبشرين ومنذرين ثم بعد ذلك كان لهؤلاء الرسل ورثة وهم العلماء الذين يذبون عن هذا الدين كما قال النبي ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**» [صححه العلامة الألباني في المشكاة (٢٤٨)] فقام هؤلاء العلماء المشهود لهم بالخيرية بتأليف الرسائل والكتب التي يدعون فيها إلى توحيد الله، ونبذ الشرك، واتباع النبي ﷺ ونبذ البدع، وتبيين طريق المهديين من طريق المنحرفين الضالين الزائغين، الذين يحاولون أن يلبسوا على الناس أمر عبادتهم، ويضعون العقبات في قلوب العباد، فيقلبوها من قلوب على الفطرة التي خلقهم الله عليها كما قال الله في الحديث الإلهي: «**خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين**»، إلى عباد ذووا فطر مطموسة مشوبة

بالشرك والبدع والخرفات، من دعاء لغير الله، ونذر لغير الله، وحلف بغير الله، وتعطيلٍ لصفات الله، ونسبة ما لم ينسبه الله لنفسه ولا نبيه له، ملبسين على الناس بأن هذا هو الحق، وهم ما أرادوه، إنما أرادوا نصرة لمذاهبهم وطرقهم الباطلة، والله سائلهم على صنيعهم هذا.

لكن بالرغم من كثرة هذه الطرق المنحرفة، وغربة الداعين إلى الحق؛ فإنه يكفيهم شرفًا إنهم على الحق وأنه يسليهم عما هم فيه من حزن قول نبيهم الكريم ﷺ: «**إنكم ستجدون بعدي أثرة وأمور تنكرونها، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**» فإنهم لا يحبون أن أحدًا يقع في الشرك، فهم كما قال الإمام أحمد: (أعرف الناس بالحق، وأرحمهم بالخلق)، فأرحم الناس بالناس هم الذين يدعون إلى التوحيد، وينهون عن الشرك.

ومن أئمة هؤلاء ورءوسهم هو (الإمام العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي) صاحب «اللمعة» المتن المشروح بين يدينا، فإنه رحمه الله وجزاه عنا خيرًا، قد جمع فيه ملخص عقيدة أهل السنة، وما كان عليه النبي وأصحابه.

وأيضًا منهم (العلامة ابن عثيمين، العلامة صالح آل الشيخ) الذين ألقيا الدرر على هذا المتن المبارك بإذن الله فبيناه خير تبيين ووضحا معانيه، فكان هذا الكتاب الذي بين أيدينا المسمي بـ (**شرح لمعة الاعتقاد**) فيه من الفوائد ما به يرتوي الموحدون وينتهل طلبة العلم، ومهما تكلمنا عنه فإننا بحاجة إلى أن نتكلم عنه أكثر، لما فيها من عظيم الفائدة، وقد عظمت فائدته أكثر لما قمت بنقل تعليقات العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله من تعليقه على الطحاوية، وازدادت الفائدة بتعليقات العلامة الجبل المحدث: محمد ناصر الدين الألباني المنقولة من تعليقه على الطحاوية، وأيضًا كثرت الفائدة لما نقلت بعض تعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله من تعليقه

على الطحاوية أيضًا. (لكن اعلم رحمك الله أن تعليقات العلمـاء الثلاثة لم يتم تغيير شيء فيها، وهذا للأمانة)

سائلين الله تبارك وتعالى أن ينفع بها، وأن يدخر لنا الأجر والثواب، إنه حسبنا ونعم الوكيل.

وقد كان عملي في هذا الكتاب، بأن قمت بوضع تعليقات العلمـاء، الثلاثة في أماكنها، وقمت بتخريج الأحاديث على النحو التالي:

١- قمت بعزو الأحاديث التي في الصحيحين إلى أماكنها. ٢- وكذالك ما لم يكن في الصحيحين.٣- وقمت بإخراج حكم العلامة الألباني على ما لم يكن في الصحيحين، وقد اعتمدت على أحكام العلامة الألباني لأنه مشهود له في هذا الفن وهو أكثر من غيره إتقانًا له في هذا الزمان.٤- قمت بوضع الرسم العثمـاني للقرآن الموجودة في الكتاب، فبهذا تحلوا الصور ونسلم من الخطأ بإذن الله.

هذا وما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطإ أو نسيان فمنـا، ومـن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان.

كتبه/ القسم العلمي بمركز أهل الحديث

(للصف والتحقيق والبحث العلمي)

هاتف/٠٠٢٠١٠٢٩٠٣٤١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

الحمد لله، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فهذا تعليق مختصر على كتاب «**لمعة الاعتقاد**» الذي ألفه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي المولود في شعبان سنة ٥٤١هـ بقرية من أعمال نابلس، المتوفي يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠هـ بدمشق ـ رحمه الله ـ.

وهذا الكتاب جمع فيه مؤلفه زبدة العقيدة، ومن ثَمَّ قررت رئاسة المعاهد العلمية دراسته في مطلع القسم الثانوي في المعاهد في السنة الأولى منه ليكون ركيزة يعتمد عليها في هذه المرحلة.

ونظرًا لأهمية الكتاب موضوعًا ومنهجًا وعدم وجود شرح له: فقد عقدت العزم مستعينًا بالله مستلهمًا منه الصواب في القصد والعمل أن أضع عليه كلمات يسيرة تكشف غوامضه وتُبيِّن موارده وتبرز فوائده.

والله أرجو ألا يكلني إلى نفسي طرفة عين وأن يمدني بروح من عنده وتوفيق، وأن يجعل عملي مباركًا؛ ونافعًا إنه جواد كريم.

محمد الصالح العثيمين

تحريرًا في ١٠/ ١/ ١٣٩٢هـ

قواعد هامة في الأسماء والصفات

وقبل الدخول في صميم الكتاب أحب أن أقدم قواعد هامة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته:

- **القاعدة الأولى:**

في الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته:

الواجب في نصوص الكتاب والسنة: إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغير؛ لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين والنبي ﷺ يتكلم باللسان العربي، فوجب إبقاء دلالة كلام الله وكلام رسوله على ما هي عليه في ذلك اللسان؛ ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم وهو حرام لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

فإن ظاهر الآية: أن لله يدين حقيقيتين فيجب إثبات ذلك له.

فإذا قال قائل: المراد بهما: القوة.

قلنا له: هذا صرف للكلام عن ظاهره فلا يجوز القول به؛ لأنه قول على الله بلا علم.

- **القاعدة الثانية:**

في أسماء الله:

وتحت هذه القاعدة فروع:

الفرع الأول: أسماء الله كلها حسنى:

أي: بالغة في الحسن غايته؛ لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف:١٨٠].

مثال ذلك: الرحمن فهو اسم من أسمـاء الله تعالى ، دال على صفة عظيمة هي الرحمة الواسعة.

ومن ثَمَّ نعرف أنه ليس من أسمـاء الله: الدهر؛ لأنه لا يتضمن معنى يبلغ غاية الحسن، فأمـا قوله ﷺ : «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**»[(١)]. فمعناه: مـالك الدهر المتصرف فيه بدليل قوله في الرواية الثانية عن الله تعالى: «**بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**»[(٢)]

الفرع الثاني: أسمـاء الله غير محصورة بعدد معين:

لقوله ﷺ فى الحديث المشهور: «**أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أو أستأثرت به في علم الغيب عندك**»[(٣)] .

ومـا استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به.

والجمع بين هذا وبين قوله في الحديث الصحيح: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًـا من أحصاها دخل الجنة**»[(٤)]

إن معنى هذا الحديث: إن من أسمـاء الله تسعة وتسعين اسمًـا من أحصاها دخل الجنة، وليس المراد: حصر أسمـائه تعالى بهذا العدد، ونظير هذا: أن تقول: عندي مـائة درهم أعددتها للصدقة، فلا ينافي أن يكون عندك دراهم أخرى أعددتها لغير الصدقة.

الفرع الثالث: أسمـاء الله لا تثبت بالعقل وإنمـا تثبت بالشرع:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢٦، ٧٤٩١) .

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٣٧٠٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٣٦، ٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧).

فهي توقيفية يتوقف إثباتها على ما جاء عن الشرع فلا يُزاد فيها ولا يُنقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على الشرع؛ ولأن تسمية بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك.

الفرع الرابع: كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله، وعلى الصفة التي تضمنها، وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعديا، ولا يتم الإيمان بالاسم إلا بإثبات ذلك كله.

مثال ذلك في غير المتعدي: «العظيم» فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسما من أسماء الله دالا على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفة: وهي العظمة.

ومثال ذلك في المتعدي: «الرحمن» فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسما من أسماء الله دالا على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفة: وهي الرحمة، وعلى ما ترتب عليه من أثر: وهو إنه يرحم من يشاء.

- **القاعدة الثالثة:** في صفات الله:

وتحتها فروع أيضًا:

الفرع الأول: صفات الله كلها عليا صفات كمال ومدح ليس فيها نقص بوجه من الوجوه:

كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعلو وغير ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]. ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته.

وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها: فهي ممتنعة في حقه كالموت والجهل والعجز والصمم والعمى ونحو ذلك؛ لأنه سبحانه عاقب الواصفين له بالنقص ونزَّه نفسه عما يصفونه به من النقائص؛ ولأن الرب لا يمكن أن يكون ناقصًا لمنافاة النقص للربوبية.

وإذا كانت الصفة كمالاً من وجه ونقصًا من وجه: لم تكن ثابتة لله ولا ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق، بل لا بد من التفصيل: فتثبت لله في الحال التي تكون كمالاً وتمتنع عليه في الحال التي تكون نقصًا كالمكر والكيد والخداع ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة مثلها؛ لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله، وتكون نقصًا في غير هذه الحال؛ فتثبت لله فى الحال الأولى دون الثانية، قال الله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال:٣٠]. ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق١٥ -١٦]. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]. إلى غير ذلك.

فإذا قيل: هل يوصف الله بالمكر مثلًا؟ فلا تقل: نعم، ولا تقل لا، ولكن قل: هو ماكر بمن يستحق ذلك، والله أعلم.

الفرع الثاني: صفات الله تنقسم إلى قسمين: ثبوتيه وسلبية:

فالثبوتية: ما أثبتها الله لنفسه كالحياة والعلم والقدرة، ويجب إثباتها لله على الوجه اللائق به؛ لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته.

والسلبية: هي التي نفاها الله عن نفسه كالظلم، فيجب نفيها عن الله؛ لأن الله نفاها عن نفسه، لكن يجب اعتقاد ثبوت ضدها لله على الوجه الأكمل؛ لأن النفي لا يكون كمالاً حتى يتضمن ثبوتًا.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩].

فيجب نفي الظلم عن الله مع اعتقاد ثبوت العدل لله على الوجه الأكمل.

الفرع الثالث: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية:

فالذاتية: هي التي لم يزل و لا يزل متصفًا بها كالسمع والبصر.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش والمجيء.

وربما تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين: كالكلام؛ فإنه باعتبار أصل الصفة: صفة ذاتية؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام: صفة فعلية؛ لأن الكلام متعلق بمشيئته يتكلم بما شاء متى شاء.

الفرع الرابع: كل صفة من صفات الله فإنه يتوجه عليها ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: هل هي حقيقية ولماذا؟

السؤال الثاني: هل يجوز تكييفها ولماذا؟

السؤال الثالث: هل تماثل صفات المخلوقين ولماذا؟

فجواب السؤال الأول: نعم حقيقية؛ لأن الأصل في الكلام: الحقيقة، فلا يعدل عنها إلا بدليل صحيح يمنع منها.

وجواب الثاني: لا يجوز تكييفها؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه:١١٠].

ولأن العقل لا يمكنه إدراك كيفية صفات الله.

وجواب الثالث: لا تماثل صفات المخلوقين؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشوري: ١١].

ولأن الله مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، فلا يمكن أن يماثل المخلوق لأنه ناقص.

والفرق بين التمثيل والتكييف: أن التمثيل: ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل، والتكييف: ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل.

مثال التمثيل: أن يقول قائل: يد الله كيد الإنسان.

ومثال التكييف: أن يتخيل ليد الله كيفية معينة لا مثيل لها في أيدي المخلوقين؛ فلا يجوز هذا التخيل.

- **القاعدة الرابعة:** فيما نرد به على المعطلة:

المعطلة هم الذين ينكرون شيئا من أسماء الله أو صفاته ويحرفون النصوص عن ظاهرها ويقال لهم: المؤولة.

والقاعدة العامة فيما نرد به عليهم: أن نقول: إن قولهم خلاف ظاهر النصوص وخلاف طريقة السلف وليس عليه دليل صحيح، وربما يكون في بعض الصفات وجه رابع أو أكثر.



مقدمة صاحب المتن

قال الشيخ الإمام العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي -عليه رحمة الله -:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١-الحَمْدُ لله المحمُودِ بِكُلِّ لِسانٍ، المعبودِ في كُلِّ زَمانٍ، الَّذِي لا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكانٌ، ولا يشغَلُه شانٌ عن شانٍ، جلَّ عَنِ الأشباهِ والأنْدادِ، وتَنَزَّهَ عَنِ الصَّاحِبَةِ والأولادِ، ونَفِذَ حُكمُهُ في جميعِ العبادِ، لا تُمَثِّلُهُ العقولُ بالتفكيرِ، ولا تَتَوَهَّمُهُ القلوبُ بالتصوير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ والصفاتُ العُلى، ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه:٥-٧]، ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وقَهَرَ كلَّ مخلوقٍ عِزَّةً وحُكْمًا، ووسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلمًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه:١١٠]، مَوْصوفٌ بما وصفَ به نفسَهُ في كتابِهِ العظيمِ، وعلى لسانِ نَبِيِّهِ الكريمِ.

الشرح

اللمعة: تطلق في اللغة على معانٍ منها: البلغة من العيش، وهذا المعنى أنسب معنى لموضوع هذا الكتاب.

فمعنى لمعة الاعتقاد هنا: البلغة من الاعتقاد الصحيح المطابق لمذهب السلف - رضوان الله عليهم -.

والاعتقاد: الحكم الذهني الجازم، فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففاسد.

ما تضمنته خطبة الكتاب.

تضمنت خطبة المؤلف في هذا الكتاب ما يأتي:

١ - البداءة بالبسملة اقتداء بكتاب الله العظيم واتباعًا لسنة ﷺ.

ومعنى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾: أي: أفعل الشيء مستعينًا ومتبركًا بكل اسم من أسماء الله تعالى الموصوف بالرحمة الواسعة، ومعنى ﴿اللَّهِ﴾: المالوه. أي: المعبود حبًّا وتعظيمًا وتألهًا وشوقًا، و﴿الرَّحْمَٰنِ﴾: ذو الرحمة الواسعة، و﴿الرَّحِيمِ ۝١﴾: الموصل رحمته مَنْ شاء مِنْ خلقه، **فالفرق بين الرحمن والرحيم:** أن الأول باعتبار كون الرحمة وصفًا له، والثاني باعتبارها فعلًا له يوصلها من شاء من خلقه.

٢ - الثناء على الله بالحمد، والحمد: ذكر أوصاف المحمود الكاملة وأفعاله الحميدة مع المحبة له والتعظيم.

٣ - أن الله محمود بكل لسان ومعبود بكل مكان؛ أي مستحق وجائز أن يحمد بكل لغة ويعبد بكل بقعة.

٤ - سعة علم الله بكونه لا يخلو من علمه مكان وكمال قدرته وإحاطته حيث لا يلهيه أمر عن أمر.

٥ - عظمته وكبرياؤه وترفعه عن كل شبيه وند مماثل لكمال صفاته من جميع الوجوه.

٦ - تنزهه وتقدسه عن كل زوجة وولد؛ وذلك لكمال غناه.

٧ – تمام إرادته وسلطانه بنفوذ قضائه في جميع العباد، فلا يمنعه قوة ملك و لا كثرة عدد ومال.

٨ – عظمة الله فوق ما يتصور؛ بحيث لا تستطيع العقول له تمثيلًا ولا تتوهم القلوب له صورة؛ لأن الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

٩ – اختصاص الله بالأسماء الحسنى والصفات العلا.

١٠ – استواء الله على عرشه وهو علوه واستقراره عليه على الوجه اللائق به.

١١ – عموم ملكه للسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

١٢ – سعة علمه وقوة قهره وحكمه، وأن الخلق لا يحيطون به علمًا لقصور إدراكهم عما يستحقه الرب العظيم من صفات الكمال والعظمة.

قال الشيخ صالح-حفظه الله-:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله **رب العالمين**، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فهذه الرسالة **الموسومة بلُمعة الاعتقاد** من نبذ العقيدة؛ أعني من متونها المختصرة، وقد ضمّتْ **مباحث الاعتقاد**، وأثنى عليها العلماءُ بعد الموفّق رحمه الله تعالى، وهي حقيقةٌ بأن **تفصل كلماتها** وجُملها، وأن تُبين مباحثُها بشيء من التفصيل، ولمّا كانت هذه الأيام **الثلاث التي** نستقبلها لا تكفي ولا تفي؛ بأن تُشرح هذه العقيدة شرحًا وافيًا؛ لهذا **سنمرُّ عليها** مرورًا فيه إيضاحُ كثير من مسائلها على شكلٍ ووجه الإيجاز.

وهذه **الخطبة التي ذكرها** المؤلف بين يدي كتابه ورسالته، مما يسميه علماء

البلاغة براعة الاستهلال؛ وبراعة الاستهلال يعتني بها أهل العلم، ومعناها أن يُضمِّنوا الخطبة التي بين يدي كتبهم، أو بين يدي كلامهم وخطبهم؛ ما سيتكلمون به أو يُفصِّلونه، فلما كان بحثُ هذا الكتاب في الاعتقاد، وفي تنزيه الله جلَ وعلا، وما يستحقه جل وعلا، وهذا أعلى وأعظم ما في مباحث الاعتقاد؛ ضمّن هذه الخطبة الثناء على الله جل وعلا، وذِكر استوائه جل وعلا على عرشه، وذِكر علمه جل وعلا وإحاطته بكل شيء، وذَكر أنه جل وعلا موصوف بما وَصف به نفسه، وغير ذلك مما بيَّنه في هذه الخطبة.

وأمّا خطبة الحاجة المشهورة التي وردت في حديث ابن مسعود وغيره، مِن أن النبي ﷺ كان يقول بين يدي حاجاته: «**إن الحمد لله نحمده ونستعينه...**»[1] إلى آخره، فهذه مشروعةٌ بين يدي الحاجات وكثيرًا ما كان يقولها عليه الصلاة والسلام؛ ولكن ليس هذا أمرًا مطَّردًا، ولهذا يبدأ أهل العلم تارة كتبَهم وخطبهم ومؤلفاتهم بتلك الخطبة المعروفة بخطبة الحاجة، وتارة يجعلون خطبهم مذكورة بما يريدون ذكره في خطبتهم أو مؤلَّفهم أو رسالتهم، وهذا هو الذي أسلفتُ لك أنه يسمى براعة الاستهلال؛ ولهذا يجتهد أهل العلم في الابتداء بمثل هذا اللفظ العظيم الموجز الذي يدلُّ على المراد، بل يتنافس العلماء في أن يُضمِّنوا صدور خطبهم لكتبهم ولغيرها ما يريدون إيضاحه في كتبهم أو في خطبهم ونحو ذلك.

المسألة الثانية: أن مباحث الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة مبنية على شرح أصول الإيمان الستة؛ ألا وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدَر خيرِه وشرِّه من الله تعالى.

فالإيمان بالله يشمل الإيمان بأنه جل وعلا واحد في إلـهيته مستحق للعبادة

---

(١) صحيح: رواه النسائي (١٤٠٤)، وأبو داود (٢١١٨)، وصححه العلامة الألباني.

دون ما سواه، والإيمان بأسمائه جل وعلا وصفاته، وأنه واحد في أسمائه وصفاته لا شبيه له ولا مثيل في أسمائه وصفاته.

وهذا البحث -أعني الكلام على الإيمان بالله- لم يكن في أول الإسلام -أعني في القرون الأولى-؛ فلم تكن ثَمَّ حاجة إلى إفراد الكلام عن توحيد الألوهية بخصوصه؛ وإنما كانوا يكتفون بالإجمال فيه لأجل عدم وقوع الشرك في هذه الأمة وعدم ظهوره؛ فكانت جُل مباحث الاعتقاد فيما يتصل بمبحث الإيمان بالله عن الأسماء والصفات، وغيرُها يُعرض له بشكلٍ من الإجمال؛ لكن لما ظهر الشركُ وفشا؛ كان لزامًا أن يفرد هذا بالتصنيف، ولهذا لا تجد في مباحث الاعتقاد التي في هذه الرسالة الكلام مفصلًا عن توحيد العبادة وعن توحيد الإلهية بما اعتنى به العلماء من بعدِ، وإنما تجد الكلام مفصلًا في مباحث توحيد الأسماء والصفات، وهذا لأجل الحاجة إليه في زمن تأليف مثل تلك الرسالة، فكلَّما كانت حاجة العباد إلى إيضاح أمر أكثر؛ كلما اعتنى به أهل العلم، وأُظهر حينئذٍ كتبُ توحيد الإلـهية وتوحيد العبادة مثل كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وثلاثة الأصول ونحوها من الكتب، فهذه فيها بيان لتوحيد الإلهية الذي هو أحد مباني العقيدة في ركنه الأول وهو الإيمان بالله.

ثم يذكر الإيمان بالملائكة والكتب والرسل -كما سيأتي إيضاحه إن شاء اللهُ تعالى-، ثم الإيمان باليوم الآخر، وهذا يدخل فيه الإيمان بالغيبيات، إذا أتى أهل العلم للكلام على اليوم الآخر والإيمان به؛ فإنهم يذكرون الكلام على الغيبيات وما يجب على المسلم اعتقاده فيها، وطريقة أهل السنة والجماعة فيها المخالِفة والمنابِذة لطرق أهل الزيغ والضلال والبدعة، ثم الإيمان بالقدر خيره وشره.

فإذا تم بيان أركان الإيمان الستة؛ ذكروا ما يتبع ذلك من أمور الاعتقاد التي اعتنى بها أهل السنة والجماعة؛ وهي في أصلها ليست من مسائل الاعتقاد؛ لكنها

أُدرجت في مسائل الاعتقاد لأجل الحاجة إليها من جهة أن أهل السنة والجماعة خالفوا فيها أهل الزيغ والضلال وأهل البدعة والفرقة؛ من مثل الكلام في الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومن مثل الكلام في أمهات المؤمنين جميعًا، ومن مثل الكلام في الإمامة وما يجب من طاعة أولي الأمر في المعروف، وأن الإمامة واجبة، وأن البيعة للإمام الذي بُويع متعيَّنة، ولا يجوز الخروج على الأئمة بجَورهم، وتجب الصلاة خلفهم والجهاد معهم، ونحو ذلك من مباحث الإمامة التي خالف بها أهل السنة والجماعة الخوارجَ والمعتزلة ومن شابههم، كذلك ويذكرون من مباحث الاعتقاد مثل المسح على الخفين، وذلك مخالفة لمن لا يرى المسح على الخفين، كذلك يذكرون في مباحث الاعتقاد كرامات الأولياء وما يُجري الله على أيديهم من أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كما هو معلوم ويبسُطون ذلك؛ لأجل وجود من يُخالف في الأولياء وفي كراماتهم من جهة إنكارها تارة كما فعلت المعتزلة، ومن جهة الغلو في الأولياء حتى جعلتهم طائفة فوق منزلة الأنبياء، وهكذا مسائل الأخلاق تُذكر ضمن مسائل اعتقاد أهل السنة والجماعة.

إذن فمعتقد أهل السنة والجماعة يشمل هذه الأمور جميعًا، وليس معتقد أهل السنة والجماعة خاصًّا بالاعتقاد في الله جل وعلا وأسمائه و صفاته واليوم الآخر والقدر كما قد يُظن؛ بل معتقد أهل السنة والجماعة يشمل هذا جميعًا؛ لأنه به فارقوا أهل البدع والزيغ الذين يردُّون النصوص، ولا يلتزمون بالسنة، ولا يخضعون لها ولا يحكِّمونها على أنفسهم تحكيمًا تامًّا، وبهذا التوجّه تميَّز أهل السنة بأنهم يعظمون السنة ويعظمون أهلها، وينبذون من خالفها أو خالف أئمتها.

إذن فنحن فيما نستقبل إن شاء اللهُ تعالى سنعرِض بإيجاز لهذه المباحث التي سيذكرها المؤلف بدون تطويل ولا تفصيل، مع أنه كان ينبغي أن تُفَصَّل، لكن لما كان

الوقت قصيرًا؛ فإننا نكتفي بإشارات مجملة.

التسليم والقبول لآيات وأحاديث الصفات

٢-وكلُّ ما جاءَ في القرآنِ أو صَحَّ عنِ المصطفى عليه السلامُ منْ صفاتِ الرحمنِ وَجَبَ الإيمانُ بِهِ وتَلَقِّيهِ بالتَّسْليمِ والقَبُولِ، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لَهُ بالرَّدِّ والتَّأْويلِ، والتَّشْبيهِ والتَّمْثِيلِ. وما أَشْكَلَ مِنْ ذلك وَجَبَ إثْباتُه لفْظًا، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمَعْناه، ونرُدُّ عِلْمَه إلى قائله، ونجعلُ عُهْدَتَهُ على ناقِلِه، اتِّباعا لطريقِ الرَّاسِخِين في العِلْمِ، الّذين أثْنَى اللهُ علَيْهِم في كتابِهِ المُبين بقوله سبحانَهُ وتعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧].

وقالَ في ذَمِّ مُبْتَغِي التَّأْوِيلِ لمتشابِهِ تَنْزِيلِهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران:٧]، فَجعَلَ ابْتِغاءَ التَّأْويلِ علامَةَ الزَّيْغِ وقَرَنَهُ بابْتِغاءِ الفِتْنَةِ في الذَّمِّ، ثم حَجَبَهُمْ عمَّا أَمَّلُوهُ، وقَطَعَ أَطْماعَهُمْ عمَّا قَصَدُوهُ، بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧].

الشرح

تقسيم نصوص الصفات وطريقة الناس فيها:

تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات إلى قسمين: واضح جلي ومشكل خفي.

فالواضح: ما اتضح لفظه ومعناه فيجب الإيمان به لفظًا وإثبات معناه حقًّا بلا رد ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل؛ لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول والتسليم.

وأما المشكل: فهو ما لم يتضح معناه لإجمال في دلالته أو قصر في فهم قارئه فيجب إثبات لفظه لورود الشرع به والتوقف في معناه وترك التعرض له، لأنه مشكل لا يمكن الحكم عليه فنرد علمه إلى الله ورسوله.

وقد انقسمت طرق الناس في هذا المشكل إلى طريقين:

الطريقة الأولى: طريقة الراسخين في العلم الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه وقالوا: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ وتركوا التعرض لما لا يمكنهم الوصول إلى معرفته والإحاطة به تعظيمًا لله ورسوله وتأدبًا مع النصوص الشرعية وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

الطريقة الثانية: طريقة الزائغين الذين اتبعوا المتشابه طلبًا للفتنة وصدًّا للناس عن دينهم وعن طريقة السلف الصالح، فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلى ما يريدون، لا إلى ما يريده الله ورسوله، وضربوا نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض، وحاولوا الطعن في دلالتها بالمعارضة والنقص ليشككوا المسلمين في دلالتها ويعموهم عن هدايتها، وهؤلاء هم الذين ذمهم الله بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران:٧].

تحرير القول في النصوص من حيث الوضوح والإشكال:

إن الوضوح والإشكال في النصوص الشرعية أمر نسبي يختلف به الناس بحسب العلم والفهم؛ فقد يكون مشكلًا عند شخص ما هو واضح عند شخص آخر، والواجب عند الإشكال: اتباع ما سبق من ترك التعرض له والتخبط في معناه.

أما من حيث واقع النصوص الشرعية: فليس فيها – بحمد الله– ما هو مشكل لا يعرف أحد من الناس معناه فيما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم؛ لأن الله وصف القرآن بأنه نور مبين، وبيان للناس وفرقان، وأنه أنزله تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة؛ وهذا يقتضي ألا يكون في النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع بحيث لا يمكن أحدًا من الأمة معرفة معناه.

معنى الرد والتأويل والتشبيه والتمثيل وحكم كل منها:

الرد: التكذيب والإنكار؛ مثل أن يقول قائل: ليس لله يدًا لا حقيقية ولا مجازًا، وهو كفر؛ لأنه تكذيب لله ورسوله.

والتأويل: التفسير، والمراد به هنا: تفسير نصوص الصفات بغير ما أراد الله بها ورسوله وبخلاف ما فسرها به الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

وحكم التأويل على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون صادر عن اجتهاد وحسن نية؛ بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله، فهذا معفو عنه؛ لأن هذا منتهى وسعه، وقد قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الثاني: أن يكون صادرًا عن هوى وتعصب، وله وجه في اللغة العربية فهو فسق وليس بكفر، إلا أن يتضمن نقصًا أو عيبًا في حق الله فيكون كفرًا.

القسم الثالث: أن يكون صادرًا عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة العربية فهذا كفر؛ لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له.

والتشبيه: إثبات مشابه لله فيما يختص به من حقوق أو صفات وهو كفر؛ لأنه من الشرك بالله ويتضمن النقص في حق الله حيث شبهه بالمخلوق الناقص.

والتمثيل: إثبات مماثل لله فيما يختص به من حقوق أو صفات وهو كفر؛ لأنه من الشرك بالله وتكذيب بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].

ويتضمن النقص في حق الله حيث مثَّله بالمخلوق الناقص.

والفرق بين التمثيل والتشبيه: أن التمثيل يقتضي المساواة من كل وجه بخلاف التشبيه.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

هذا بيان للأصل الأول؛ ألا وهو أنَّ أهل السنة والجماعة تميّزوا عن غيرهم بالتسليم لما جاء به الرسول ﷺ من القرآن العظيم ومن سنته عليه الصلاة والسلام، فسنة النبي ﷺ وحي، والقرآن كلام الله جل وعلا، فما أتانا في الكتاب والسنة وجب اعتقاده والتسليم له، وتصديقه في الأخبار، واتباعه في الأمر والنهي والأحكام.

وها هنا ذكر المؤلف أن ما أشكل من النصوص وجب الإيمان به لفظًا وترك التعرض لمعناه، وهذا لأنّ أهل السنة والجماعة قالوا: إن النصوص - نصوص الكتاب والسنة- واضحة بيّنة؛ لأن الله جل وعلا أنزل كتابه وجعله واضحا بيِّنًا بلسان عربي مبين، وجعله محكمًا كما قال جل وعلا: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود:١]؛ فجعل جل وعلا كتابه كله محكمًا؛ يعني بيّنًا واضحًا لا يستبهم معناه، ولا يغمض ما دل عليه على الناس.

- كذلك هو جل وعلا ذكر أن كتابه متشابه، فقال جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر:٢٣] فجعله كلَّه متشابهًا، ومعنى ذلك أنه يشبه بعضُه بعضًا.

- وفي آية آل عمران جعل جل وعلا: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧] وهذا يعني أنّه منه ما هو واضح بيّن، ومنه ما هو مشتبه.

فكيف نجمع بين هذه الآيات الثلاث؟ المؤلف ذكر الخلاصة لكنها تحتاج إلى إيضاح.

فنقول: القرآن محكم كله، ومتشابه كله، ومنه محكم ومنه متشابه:

فالإحكام: بمعنى الوضوح **والبيان** فهو كله واضح بيّن على جنس الأمة، وقد لا يكون واضحًا بينًا لكل أحد، لكنه **واضح** بيّنٌ لجنس الأمة.

كذلك وصفه بأنه متشابه **بقوله**: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر:٢٣] يعني يشبه بعضه بعضًا، **فهذا أمر** وهذا أمر، وذاك نهي وذاك نهي، وهذا خبر وهذا خبر، وهذا وصف للجنة **وذاك للجنة**، وهذه قصة لنبي من الأنبياء وتلك قصة للنبي نفسه، وهكذا بعضه يشبه **بعضًا**.

وأمّا الثالث -يعني القسم **الثالث**- **هو** ما ذُكر في آية آل عمران بقوله: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧] يعني **بعضه** محكم واضح المعنى بيِّن الدلالة، وبعضه ليس كذلك؛ مشتبه المعنى ومشتبه الدِّلالة، **وهذا** المشتبه المعنى والمشتبه الدِّلالة لا يوجد في القرآن ولا في السنة عند أهل السنة **والجماعة** بمعنى التشابه المطلق؛ يعني أن قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧] **يُعنى** به التشابه النسبي الإضافي؛ يعني أنه يشتبه على بعض الناس دون بعض، **أمّا التشابه المطلق بحيث يقال: هذه الآية من المتشابه، أو يقال**: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ هنا من المتشابه **بمعنى أن** لا أحد يعلم معناه فهذا من الخطأ، ولا يقول به أهل السنة، بل أهل السنة **يقولون: إنه** يُمكن أن توجد الآيات تشتبه على بعض أهل العلم فلا يُعلم معناها -**لا يُعلم معناها** من جهة هذا المطالِع- لكن ليس من جهة الأمة بأجمعها، فيعلم بعض أهل العلم **المعنى**، والبعض الآخر لا يعلم المعنى، ولهذا ابن عباس لمّا تلا هذه الآية قال: «**أنا ممن يعلمون تأويله**».

فإذن يُقال: هذه الآية من المتشابه؛ لكن لا يوجد المتشابه المطلق؛ الذي لا يعلم أحد

معناه، بل لا بد أن يوجد في الأمة من يعلم معنى كل نص؛ فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، نزل ليهتدي به الناس، وكذلك السنة، فلا يوجد نص يشتبه على جميع أهل العلم وعلى الأمة -لا- وهذا القول بأنه هناك ما يشتبه على الجميع، ولا يفهم معناه الجميع، هذا إنما هو قول أهل البدع.

فإذن المؤلف هنا قسم النصوص إلى قسمين:

باعتبار بعض الناس لا باعتبار الجميع فقال: (**النصوص نتلقاها بالتسليم والاعتقاد من غير أن نرُدها أو نُشبِّه أو نمثل**) وهذا هو في القسم الأول يعني الآيات المحكمات الواضحات.

وما اشتبه عليك؛ قال: (**وجب الإيمان به لفظًا**) وهذا اللفظ الذي ذكره في قوله: (**وجب الإيمان به لفظًا**) **مما أُنتقد على الإمام موفق الدين بن قدامة**؛ فإنه في هذه العقيدة الموجزة أُنتقدت عليه ثلاث مسائل هذه أولها وهي قوله: (**وجب الإيمان به لفظًا**)، ويمكن أن يُخَرَّجَ كلامه؛ أي: أن يُحمل على محمل صحيح.

أما الانتقاد؛ فهو أن يُقال: إن الواجب أن نؤمن به لفظًا ومعنىً، لكن إذا جهلنا المعنى نؤمن بالمعنى على مراد الله جل وعلا، أو على مراد الرسول ﷺ، كما سيأتينا من كلمة الإمام الشافعي أنه قال: «**آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله ﷺ وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله**» يعني إذا جهل المعنى، فإذا جهلتَ المعنى تؤمن باللفظ والمعنى؛ لكن المعنى على مراد من تكلم به.

ووجه الانتقاد الذي أُنتقد به الإمام ابن قدامة في هذه اللفظة: أنه يجب الإيمان باللفظ والمعنى، أمّا الإيمان بلفظ مجرد عن المعنى فهذا هو قول أهل البدع؛ الذين يقولون: نحن نؤمن بألفاظ الكتاب والسنة دون إيمانٍ بمعانيها؛ لأن معانيَها قد تختلف.

والجواب: أن هذا غلط بل معاني الكتاب والسنة على المعنى العربي؛ فالقرآن نزل بلسان عربي، والنبي ﷺ تكلم بلسان عربي، فلهذا وجب أن يُؤْمَنَ بالكتاب والسنة على ما تقتضيه لغة العرب، وعلى ما يدل عليه اللسان العربي، وهذا أصل من الأصول لكن إذا اشتبه عليك المعنى؛ فإذا صادفت كلمة في القرآن ما علمت معناها، أو حديثًا إمّا في الصفات أو في الغيبيات ولم تعلم معناه، فإنك تقول: نؤمن به لفظًا ومعنًى؛ أي: أن معناه مفهوم، لكن على مراد الله، ومراد رسوله ﷺ، وهذا هو الذي جاء في الآية حيث قال جل وعلا: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران:٧].

هنا قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ماذا يُعنى بهذا التأويل؟ إذا قلنا: إن كل آية لا بد أن نعلم معناها وكل حديث لا بد أن يوجد في الأمة من يعلم معناه فما معنى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ؟

الجواب: أن ما أنزل الله جل وعلا على قسمين:

١. إمّا أن يكون أخبارًا.

٢. وإمّا أن يكون أحكامًا.

وتأويل الأخبار يكون بوقوعها، وتأويل الأحكام -الأمر والنهي- يكون بإيقاعها.

فقول الله جل وعلا هنا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ يعني تلك الأخبار ما يعلم تأويلها إلا الله؛ لأن الله جل وعلا هو الذي يعلم حقيقة ما تئول إليه، أو يعلم ما تئول إليه حقيقة تلك الألفاظ وتلك الآيات، وذلك أن التأويل في القرآن أتى بمعنيين لا ثالث لهما:

الأول: التأويل بمعنى ما تئول إليه حقيقة الشيء وهذا كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف:٥٣] الآية ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ﴾ يعني ما تئول إليه حقيقة أخباره وأحكامه، فحقيقة الأخبار تئول إلى ظهورها من الصفات والغيبيات، وكذلك الأحكام حقيقتها تئول إلى ظهور أثر من تمسك بها وامتثلها ممن عصى وخالف، هذا المعنى الأول.

المعنى الآخر: وهو فرع عن هذا، التأويل بمعنى التفسير قال: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [يوسف:٤٥] بتأويله يعني تفسير الرؤيا، وهذا مرتبط بالمعنى الأول؛ يعني الحقيقة التي تئول إليها الرؤيا في الواقع المشاهَد.

فإذن قوله هنا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ليس هو التأويل الحادث الذي يقوله بعض أهل الأصول: **وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى غيره لمرجح أو لقرينة تدل عليه**. لا. فهذا إنما هو اصطلاح حادث، وأما التأويل في القرآن والسنة فله معنيان لا غير.

فإذن قوله هنا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فإذا كان في آيات الصفات ووقفنا على هذه الآية وقلنا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ووقفنا، فإنا نريد بالتأويل ما تئول إليه حقيقة الأسماء والصفات أي: الكيفية؛ فلا يعلم الكيفية إلا الله؛ وهي الحقيقة التي تئول إليها آيات الأسماء والصفات والأحاديث التي فيها الأسماء والصفات، لا يعلم كيفية اتصاف الله جل و علا بها إلا هو سبحانه، وإذا أُريد بالتأويل معنى التفسير لا الكيفية؛ فإن الراسخين في العلم يعلمون؛ لهذا طائفة من السلف يرون الوقف على كلمة (الْعِلْمِ) يقرءون ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ ويقفون؛ لأن الراسخين في العلم يعلمون المعنى، لكن لا يعلمون الكيفية.

فإذا كان الاشتباه واقعًا في المعنى؛ كان الراسخون في العلم ممن يعلمون، وإذا كان

الاشتباه واقعًا في الكيفية؛ كان العلم مقصورًا على ربِّ الأرض والسمـاوات.

وهذا معنى قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ولهذا قال ابن عباس: أنا ممن يعلم تأويلَه.



كلام أئمة السلف في الصفات

٣-قالَ الإمـامُ أبو عبدِ الله أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلٍ رحمه الله في قولِ النَّبي ﷺ: «إنَّ اللهَ ينزِلُ إلى سمـاءِ الدُّنْيَا»(١) و: «إنَّ الله يُرى في القيامَةِ»(٢) ومـا أشبه هذه الأحاديثَ، قال: نؤمِنُ بها ونُصَدِّقُ بها لا كَيْفَ ولا مَعْنَى ولا نَرُدُّ شيئًا منْها، ونَعْلَمُ أنَّ مـا جاءَ به الرَّسولُ حقٌّ، ولا نَرُدُّ على رسولِ الله ﷺ ولا نَصِفُ اللهَ بأكْثَرَ ممـا وَصَفَ بِهِ نفسَهُ، بِلاَ حَدٍّ ولا غايَةٍ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]. ونقولُ كمـا قالَ، ونَصِفُهُ بمـا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لا نَتَعَدَّى ذلك، ولا يَبْلُغُهُ وصفُ الواصِفِينَ، نُؤْمِنُ بالقرآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ ومُتَشابِهِهِ، ولا نُزيلُ عَنْهُ صفةً مِنْ صفاتِه لشَناعَة شُنِّعَتْ، ولا نَتَعَدَّى القرآنَ والحديثَ، ولا نَعْلَمُ كيفَ كُنْهُ ذلك إلَّا بتصديقِ الرَّسولِ ﷺ وتَثْبيتِ القرآنِ.

الشرح

ما تضمنه كلام الإمام أحمد في أحاديث النزول وشبهها:

تضمن كلام الإمام أحمد- رحمه الله – الذي نقله عنه المؤلف ما يأتي:

(١) رواه البخاري (١١٤٥، ٦٢٣١، ٧٤٩٤)، مسلم (٧٥٨).

(٢) رواه البخاري (٥٤٤، ٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤، ٧٤٣٦)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ ...»

١ – وجوب الإيمـان والتصديق بمـا جاء عن رسول الله ﷺ من أحاديث الصفات من غير زيادة ولا نقص، ولا حد ولا غاية.

٢ – إنه لا كيف ولا معنى، أي: لا نكيف هذه الصفات؛ لأن تكييفها ممتنع لما سبق وليس مراده أن لا كيفية لصفاته؛ لأن صفاته ثابتة حقًّا وكل شيء ثابت؛ فلابد له من كيفية، لكن كيفية صفات الله غير معلومة لنا.

وقوله: «لا معني» أي: لا نثبت لها معنى يخالف ظاهرها كمـا فعله أهل التأويل، وليس مراده نفي المعنى الصحيح الموافق لظاهرها الذي فسرها به السلف فإن هذا ثابت، ويدل على هذا قوله: ولا نرد شيئًا منها ونصفه بمـا وصف به نفسه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنعت، ولا نعلم كيف كنه ذلك.

فإن نفيه لرد شيء منها ونفيه لعلم كيفيتها: دليل على إثبات المعنى المراد منها.

٣ – وجوب الإيمـان بالقرآن كله محكمه – وهو مـا اتضح معناه – ومتشابهه – وهو مـا أشكل معناه – فنرد المتشابه إلى المحكم ليتضح معناه، فإن لم يتضح وجب الإيمـان به لفظًا وتفويض معناه إلى الله تعالى.

قال الشيخ صالح –حفظه الله–:

هذا الكلام من إمـام أهل السنة والجمـاعة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المتوفى سنة ٢٤١هـ الإمـام الذي نصر به الله جل وعلا السنة وقمع به البدعة، وجعله جل وعلا في وقته ميزانًا يوزن به الناس، يقول فيه: (إننا نؤمن بمـا جاء من النزول–وغير ذلك من آيات الصفات– كمـا جاء، لا نتجاوز القرآن والحديث، قال: **بلا كيف ولا معنى) وهذا الكلام منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة، أشكل على بعضهم كيف يقول بلا كيف ولا معنى؟**

وحقيقة هذا اللفظ الذي ورد عنه: أنه يوافق مذهب المفوِّضة، والمفوضة طائفة كانت تقول: نؤمن بالألفاظ بلا معانٍ، أي: نفوض المعنى والكيفية جميعًا، وهذا معتقد باطل وبدعة شنيعة، **وإنما الواجب تفويضُ العلم بالكيفية**، أما المعنى؛ فهو ظاهر لأن القرآن أنزل بلسان عربي مبين، فإذا كان أهل السنة والجماعة يؤمنون بالألفاظ والمعاني؛ أعني بما دل عليه اللفظ من كلام العرب، فعلامَ يُحمل إذن كلام الإمام أحمد بقوله: (بلا كيف ولا معنى)؟ **وهذه أيضًا مما أُخذ على المؤلف؛ حيث لم يُوضِح المراد من كلام الإمام أحمد.**

وأهل العلم يقولون: إن الإمام أحمد أراد بقوله: (بلا كيف ولا معنى) الرد على طائفتين:

١. الطائفة الأولى المشبهة المجسمة فرد عليهم بقوله (بلا كيف) يعني الكيفية التي تتوهمها العقول، أو وَصَفَ اللهَ جل وعلا بها المجسمة أو الممثلة.

٢. وقوله: (ولا معنى) ردّ بها رحمه الله على المعطلة، الذين جعلوا معاني النصوص على خلاف الظاهر المتبادر منها، فقالوا: إن معنى النزول: الرحمة، وقالوا: إن معنى الاستواء: الاستيلاء، وقالوا: إن معنى الرحمة: الإرادة؛ إرادة الإحسان أو إرادة الخير، وإن الغضب: معناه إرادة الانتقام ونحو ذلك؛ فهذا تأويل منه.

فالإمام أحمد يقول: (بلا كيف) الكيف الذي جعله المجسمة، (ولا معنى) الذي جعله المعطلة، أعني المعنى الباطل الذي صرف الألفاظ إليه المبتدعةُ المؤولة. فإذن قوله (بلا كيف ولا معنى) يريد بقوله (ولا معنى) المعنى الباطل الذي تأول به المبتدعة نصوص الصفات والنصوص الغيبية.

وهذا نستفيد منه **قاعدة مهمة:** وهي أن طالب العلم الذي يعتني بأمر الاعتقاد يجب عليه أن يفهم اعتقاد أهل السنة والجماعة تمامًا، فإذا فهمه ووردت بعد ذلك

ألفاظ مشكلة عن الأئمة، عن التابعين، ومن تبع التابعين، أو عن بعض الأئمة؛ فإنه بفهمه للاعتقاد الصحيح سيوجّه معناها إلى معنًى مستقيم؛ لأنه لا يُظن بالإمام أحمد وهو إمام أهل السنة والجماعة الذي حكم بالبدعة على المفوضة أنه يقول (ولا معنى) يعني ليس للآيات والأحاديث معنى يفهم بتاتًا، فإذن فهمُك لأصول الاعتقاد وأصول ما كان عليه أهل السنة والجماعة، وضبطُك لذلك، يُمكِّنك أن تجيب عن كثير من الإشكالات، ونحن في هذا الزمان ربما كتب بعض الناس كتابات في أن السلف يقرّون التأويل، وأنه وُجد التأويل للصفات في زمن الصحابة، أو وجد في زمن الصحابة من ينكر بعض الصفات، أو وجد في التابعين من يؤول، والإمام أحمد أوَّلَ، ونحو ذلك، وهذا من جرَاء عدم فهمهم لأصول أهل السنة والجماعة، وابتغاء الفتنة، وابتغاء التأويل الذي وصف الله جل وعلا به الزائغين.

وإذا فهمت الصواب وفهمت المنهج الحق والاعتقاد الحق؛ فإنه يمكن بذلك أن تجيب عما ورد عن بعض أئمة أهل السنة من ألفاظ ربما خالف ظاهرُها المعتقد، أو ظُن أن فيها شيئًا من التأويل، فيمكنك أن تجيب عنها بأجوبة محققة واضحة.

وهذه قاعدة مهمة؛ فمثلما ترون من كتابات نُشرت فيما مضى، بل ربما تنشر إلى وقتنا هذا، من أن الأمر في التأويل وأمر الاعتقاد، اختلف فيه السلف؛ فلا تجعلوا الاختلاف في العقيدة سببًا للتفريق وسببًا لكذا، ثم يستدل ببعض أقوال الإمام أحمد، وببعض أقوال الصحابة، وبعض أقوال التابعين، وهو كأنما يتصيَّد تلك ليُلبِّس بها، ولو كان يفهم معتقد أهل السنة والجماعة فَهْمًا كاملًا؛ لأَمكَنه الإجابةُ عن تلك بوضوح.

وذلك من مثل ما يُذكر؛ بل ما ثبت عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:٤٢] قال: ﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾

يعني يكشف عن شدة، كما يقال: كشفت الحرب عن ساقها، أي: كشفت الحرب عن شدة وبأس، قال هذا ابن عباس؛ فهل نقول: إن ابن عباس لا يثبت صفة الساق لله جل وعلا، وأين هذا من المدعى؟

لا شك أن هذا خلاف ما يقتضيه العلم؛ وكون هذا القول ثابتًا عن ابن عباس رضي الله عنه لا يعني أنه ينفي صفة الساق؛ لأن صفة الساق جاءت موضَّحة في حديث أبي سعيد الخدري وفي غيره؛ حيث قال: «**ثم يكشف ربنا عن ساقه**»[1] فإذا أضيف؛ لم يحتمل إلا الصفة لأن الذوات إذا أضيفت، فإمّا أن تقتضي الإضافة التشريفَ أو الصفة، وهذا لا يقتضي التشريف، وإنما يقتضي الوصف.

وأما إذا لم يضف كما في الآية؛ فصحيح؛ لأنه يمكن أن يحمل على ما فسرت به العرب من أنها تقول: كُشف اليوم عن ساق، أي: عن شِدّة؛ لأنها في الآية لم ترد مضافة، فاحتمل أن يكون المراد الكشف عن الشدة، ولهذا فسر ابن عباس وغيره الآية بهذا، بينما نقول: إن الصحيح أن ما فسر الآية به عامة الصحابة والتابعين من أن المراد بـ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أنه يكشف عن ساق الله جل وعلا؛ لأنه دل على ذلك، وفسره النبي ﷺ، وهل يؤخذ تفسير القرآن عن أحد أفهم من رسول الله ﷺ، وهو عليه الصلاة والسلام بيّن ذلك فيما رواه البخاري في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري ورواه غيره أيضًا؟



٤- قالَ الإمامُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ إدريسَ الشَّافعيُّ رضي الله عنه: «آمنتُ باللهِ وبما

(١) رواه البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣)، وغيرهما.

جاءَ عَن اللهِ على مُرادِ اللهِ، وآمنتُ برسولِ اللهِ وبمـا جاءَ عَن رسولِ اللهِ على مُرادِ رسولِ اللهِ».

الشرح

ما تضمنه كلام الإمام الشافعي:

تضمن كلام الإمام الشافعي ما يأتي:

١ - الإيمان بما جاء عن الله تعالى في كتابه المبين على ما أراه الله من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف.

٢ - الإيمان بما جاء عن رسول الله ﷺ في سنة رسول الله ﷺ على ما أراده رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف.

وفي هذا الكلام رد على أهل التأويل وأهل التمثيل؛ لأن كل واحد منهم لم يؤمن بما جاء عن الله ورسوله على مراد الله ورسوله؛ فإن أهل التأويل نقصوا، وأهل التمثيل زادوا.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

كلام الإمام الشافعي واضح، وقد استدل به المؤولة بأن الشافعي رحمه الله لا يعلم معاني تلك الآيات والأحاديث التي في الصفات، فقال: «آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله ﷺ وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ» فقالوا: هذا يعني أنه أحال المعنى على مراد من تكلم به، وهذا يدل على أنه لم يفهمِ المعنى، وهو الإمام الشافعي.

والجواب أنه لم يُرد ذلك، وإنما هذا إيمان مجمل، فنحن نقول كما قال الإمام

الشافعي: آمنا بالله وبما جاء عن الله فيما علمنا وفيما لم نعلم على مراد الله.

وهذا يقتضي تمام التسليم وتمام الامتثال لما أُمرنا به، كذلك آمنا برسول الله ﷺ وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ فيما علمنا من النصوص وما لم نعلم.

فهذا إيمان مجمل، معناه أننا لا نترك شيئًا مما جاء عن الله ولا عن رسول الله ﷺ إلا ونحن مؤمنون به ما علمنا منه وما لم نعلم؛ كلٌّ من عند ربنا.

والشافعي رحمه الله قال هذه الكلمة اتباعًا لما أمر الله جل وعلا به في كتابه حيث قال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، فما علمنا معناه واضح الإيمان به، وما جهلنا معناه واشتبه علينا نقول: آمنا به على مراد ربنا جل وعلا وعلى مراد رسولنا ﷺ، حتى نسأل فيه أهل العلم، فإذا سألنا فيه أهل العلم وبينوا لنا معاني الكتاب والسنة؛ اعتقدنا المعنى كما نعتقد في الألفاظ.

ثم ذكر أن التأويلات هذه مُحْدَثة، وهذا ظاهر بيِّن؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبي ﷺ تلقَّوا النصوص من الكتاب والسنة بالتسليم، بل إن هذا الأمر وهو حال الصحابة رضوان الله عليهم مع نصوص الكتاب والسنة هو الذي هدى اللهُ جل وعلا به بعض كبار الأشاعرة؛ مثل الجويني، فله رسالة مشهورة، وكان مما قال فيها:

«أنني وجدت النبي ﷺ يأتيه الأعرابي وغير الأعرابي، والذكي والبليد، والفطن وغير الفطن، فيسمعون منه الآيات المشتملة على الصفات التي يقتضي ظاهرُها التشبيه والتمثيل -يعني عند المؤولة- ويشمل الآيات التي تشتمل على الأمور الغيبية، ثم إن النبي ﷺ لا يُتبع ذلك ببيان يقول فيه ولو مرة واحدة، لا تعتقدوا ظواهر هذه النصوص فإن لها معاني تخفى، فيأتيه الأعرابي من البادية فيسمع القرآن، ويأمره الرسول ﷺ أن يؤمن بالكتاب، وبما يسمع من كلام النبي ﷺ بما يفهمه من معنى

بلغة العرب.

قال: وهذا يدل دلالة واضحة بينة على أن ظواهر هذه النصوص مُراد، وأنه لا يجوز تأويلها بحال؛ لأنه لو جاز تأويلها حيث إن ظاهرها يوهم المشابهة والمماثلة؛ لوجب على النبي ﷺ أن يبين ذلك للأعراب الذين يأتونه من بقاع شتى وهم على جهل وعلى عدم علم، وربما توهمت أنفسهم في تلك المعاني ظاهر ما يدل عليه اللفظ.

فقال: لَمَّا لم يتبع ذلك ببيان؛ دل على أن ظواهر النصوص مُرَادٌ، وأن الإيمان بتلك النصوص واجب على ما ظهر من معناها على قاعدة قطع المماثلة التي ذكر الله جل وعلا في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]».

إذن في عهد الصحابة لم يحدث تأويل ولم يحدث خلاف في الاعتقاد، وكذلك في عهد التابعين، حتى بدأت في أواخر عهد التابعين الضلالات تظهر مع طوائف من الخوارج، ثم المعتزلة ثم انتشر ذلك في الأمة، وهذا يدلّك على أن التأويل والمخالفة في النصوص؛ في التسليم للنصوص أن هذا من البدع والمحدثات، والبدع والمحدثات مردودة «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد**»[1] من أحدث في أمرنا هذا في الأمور العلمية ما ليس منه فهو رد، -أي: مردود على صاحبه- ومن أحدث في أمرنا هذا في الأمور العملية ما ليس منه؛ فهو رد؛ أي: مردود على صاحبه، **وهذا يدخل فيه الابتداع في الأمور العلمية والعملية**، وهذا كما سيأتي من كلام ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: «اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ»[2].



(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وغيرهما.

(٢) أثر صحيح: رواه الدامي (٢٠٥)، وصححه العلامة الألباني.

٥- وعلى هذا دَرَجَ السَّلَفُ وأَئِمَّةُ الخَلَفِ رضي الله عنهم، كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ على الإقْرارِ، والإمْرارِ والإثْباتِ لما وَرَدَ مِن الصِّفاتِ في كتابِ الله وسُنَّةِ رسولِهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لتأْوِيلِهِ.

الشرح

طريق السلف الذي درجوا عليه في الصفات:

الذي درج عليه السلف في الصفات: هو الإقرار والإثبات لما ورد من صفات الله تعالى في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير تعرض لتأويله بما لا يتفق مع مراد الله ورسوله.

الترغيب في السنة والتحذير من البدعة

٦- وقد أُمِرْنا بالاقْتِفَاءِ لآثارِهِمْ والاهتداءِ بمنارِهِم، وحُذِّرْنا المُحْدَثاتِ، وأُخْبِرْنا أنَّها مِنَ الضَّلالاتِ، فقالَ النبيُّ ﷺ: **«عَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاء الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»**[1].

الشرح

والاقتداء بهم في ذلك واجب لقوله ﷺ : **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»** رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح،

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبوداود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢، ٤٤)، وأحمد (١٦٦٩٤)، وصححه العلامة الألباني في سنن أبي داود (٤/ ٢٠٠)، والجامع الصغير (٢٥٤٩).

وصححه الألباني وجماعة.

السنة والبدعة وحكم كل منهما:

السنة لغة: الطريقة.

واصطلاحا: ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل.

واتباع السنة واجب؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ**».

والبدعة لغة: الشيء المستحدث.

واصطلاحا: ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل.

وهي حرام؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وقوله ﷺ: «**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».



٧- وقالَ عبدُ الله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ»[1][2].

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٢٠٥).

(٢) قال العلامة الألباني في حجة النبي ﷺ (ص١٠٠) تعلقًا على هذا الأثر: فهنيئًا لمن وفقه الله في عبادته لاتباع سنة نبيه ﷺ ولم يخالطها ببدعة، إذًا فليبشر بتقبل الله عز وجل لطاعته وإدخاله إياه في جنته. جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. =

٨- وقالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضي الله عنه كلامًا معناهُ «قِفْ حيثُ وَقَفَ القومُ، فإنَّهم عَنْ عِلْمٍ وَقفُوا، وبِبَصَرٍ نافِذٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ عَلَى كَشْفِها كانوا أَقْوَى، وبالفَضْلِ لوْ كانَ فيها أَحْرَى، فَلَئِنْ قُلْتُمْ حَدَثَ بَعْدَهُم، فَمَا أَحْدَثَهُ إلا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، ولقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مـا يَشْفِي، وتَكَلَّمُوا مِنْه بمـا يَكْفِي، فَمـا فَوْقَهُم مُحَسِّرٌ، ومـا دونهم مُقَصِّرُ، لَقَدْ قَصُرَ عَنْهُم قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجاوَزَهُمْ آخَرُون فَغَلَوْا، وإِنَّهُمْ فِيما بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مستقيمٍ»(١).

٩- وقالَ الإمـامُ أبو عمْرٍو الأوزاعيُّ رحمه الله: «عليْكَ بآثارِ مَنْ سَلَفَ وإِنْ رَفَضَكَ النّاسُ، وإيّاكَ وآراءَ الرِّجالِ وإِنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بالقَوْلِ»(٢).

الشرح

الآثار الواردة في الترغيب بالسنة والتحذير من البدعة:

= واعلم أن البدع التي ستمر بك على نوعين : بدع وجدت أنا من نص على بدعيتها من أهل العلم في كتبهم، فهذا العلامة عليه عزوها إليهم . وهذا النوع من الأكثر . والآخر : بدع لم أجد من نص على بدعيتها ولكن السنة أو القواعد العلمية الأصولية تحكم ببدعتها . فهذا الدليل عليه خلوه من العزو .

ومرجع هذه البدع أمور: الأول: أحاديث ضعيفة لا يجوز الاحتجاج بها ولا نسبتها إلى النبي ﷺ ومثل هذا لا يجوز العمل به عندنا على ما بينته في مقدمة (صفة صلاة النبي ﷺ) وهو مذهب جماعة من أهل العلم كابن تيمية وغيره .

الثاني : أحاديث موضوعة أو لا أصل لها خفي أمرها على بعض الفقهاء خاصة المتأخرين منهم لم يدعموها بأي دليل شرعي بل ساقوها مساق الأمور المسلمـات حتى صارت سننا تتبع ولا يخفى على المتبصر في دينه أن ذلك مما لا يسوغ اتباعه إذ لا شرع إلا ما شرعه الله تعالى، وحسب المستحسن - إن كان مجتهدًا - أن يجوز له هو العمل بمـا استحسنه وأن لا يؤاخذه الله به أما أن يتخذ الناس ذلك شريعة وسنة فلا، ثم لا . فكيف وبعضها مخالف للسنة العملية.

(١) أثر صحيح: رواه أبو داود (٤٦١٢)، وصححه العلامة الألباني.

(٢) أثر صحيح: صححه العلامة الألباني في مختصر العلو .

١ – **من أقوال الصحابة:** قال ابن مسعود رضي الله عنه الصحابي الجليل المتوفي سنة ٣٢هـ عن بضع وستين سنة:

«اتبعوا» أي: التزموا آثار النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقص. «ولا تبتدعوا»: لا تُحدِثوا بدعة في الدين.

«فقد كفيتم» أي: كفاكم السابقون مهمة الدين حيث أكمل الله تعالى الدين لنبيه ﷺ وأنزل قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]. فلا يحتاج الدين إلى تكميل.

٢ – **من أقوال التابعين:** قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز المولود سنة ٦٣ المتوفي سنة ١٠١ هـ قولًا يتضمن ما يأتي:

أ – وجوب الوقوف حيث وقف القوم. يعني بهم: النبي ﷺ وأصحابه فيما كانوا عليه من الدين عقيدة وعملًا؛ لأنهم وقفوا عن علم وبصيرة، ولو كان فيما حدث بعدهم خير لكانوا به أحرى.

ب – إن ما أُحدث بعدهم فليس فيه إلا مُخالفة هديهم والزهد في سنتهم وإلا فقد وصفوا من الدين ما يشفي وتكلموا فيه بما يكفي.

ج – إن من الناس من قصر في اتباعهم فكان جافيًا، ومن الناس من تجاوزهم فكان غاليًا، والصراط المستقيم ما بين الغلو والتقصير.

٣ – **من أقوال تابعي التابعين:** قال الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو المتوفى سنة ١٥٧ هـ « عليك بآثار من سلف»: الزم طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ لأنها مبنية على الكتاب والسنة.

«وإن رفضك الناس»: أبعدوك واجتنبوك.

«وإياك وآراء الرجال»: احذر آراء الرجال، وهي ما قيل بمجرد الرأي من غير استناد إلى كتاب وسنة رسوله ﷺ .

«وإن زخرفوه»: جملوا اللفظ وحسنوه، فإن الباطل لا يعود حقًّا بزخرفته وتحسينه.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

رضي الله عن عمر بن عبد العزيز؛ فقد نصحنا بنصيحة شافية كافية لو كان في القلوب حياة، قال: «عليك بآثار من سبق» ثم وصف من سبق وهم الصحابة رضي الله عنهم، بأنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفُّوا، فقسم حال الصحابة إلى قسمين:

الأول: أنهم وقفوا على علم؛ فهم أعلم الناس، فأعلم هذه الأمة هم صحابة رسول الله ﷺ، وهم أحرى بالعلم من غيرهم ومن بعدهم ينقص فيهم العلم، فالصحابة هم أهل العلم، وأهل الإدراك، وأهل العقول المستقيمة، وأهل الأفهام المستنيرة، هم أهل فهم الكتاب والسنة، وتفسيرُ الكتاب والسنة إنما يؤخذ من مشكاة الصحابة رضوان الله **عليهم**؛ لذا وصفهم عمر بن عبد العزيز رحمه الله بقوله: **«فإنهم على علم وقفوا» وقفوا على علم؛** العلم عن رسول الله ﷺ، أو على علم علموه من الكتاب والسنة بما **فهموه** بما تقتضيه لغة العرب، أو بما علّمه بعضهم بعضًا، فما ذكروه من المسائل؛ ذكروه على علم وعلى بصيرة، **هذا القسم الأول**.

والقسم الثاني: ما كفوا عنه وسكتوا عنه قال: «وببصر نافذ كفوا» ببصر كفوا عمّا كفُّوا عنه، فلم يدخلوا في مسائل مما دخل فيها ممن بعدهم؛ لأجل عجزهم؟ لا (ليس عن عجز)، ولكن لأجل نفوذ بصرهم وبصيرتهم وفهمهم وإدراكهم وعلمهم، فإنهم تكلموا فيما تكلموا فيه على علم، وما قفوا عليه، وسكتوا عنه، أو لم يدخلوا فيه؛ أيضًا كان عن بصر وبصيرة.

وهذا الذي يجب علينا أن ننبذ الآراء والعقول والأفهام التي تخالف ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ في أمور الاعتقاد جميعًا، بل وفي أمور الدين جميعًا، فكل ما كان

عليه صحابة رسول الله ﷺ فهذا هو الميزان المستقيم الذي تزن به فهمك، وتزن به الأحوال والأمور والفئات والناس؛ لأننا أُمرنا بالاتباع، وعمر بن عبد العزيز رحمه الله أوصانا بهذه الوصية الكافية الشافية؛ بأن نتبع الصحابة لأنهم تكلموا فيما تكلموا فيه على علم، فهدي الصحابة واجب الاتباع، سواءٌ كان ذلك في الأمور الاعتقادية، أو كان ذلك في الأمور العملية، أو كان ذلك في الأمور السلوكية؛ أعني أمور الأخلاق والعبادات والزهد ونحو ذلك، فما جاوز طريقتهم؛ فهو غلو، وما قَصُرَ عن طريقتهم؛ فهو تحسير، فما دونهم مقصر، وما زاد على ما أتوا به فهو من الغلاة والذين سيكون مآلهم إلى التقصير والحسرة.

فهذا كلام عمر بن عبد العزيز كمنهج عامٍّ، وهو الذي اتبعه الأئمة في أبواب الاعتقاد والعمل والسلوك إلى آخره، فقالوا: ما جاء عن الصحابة نأخذه.

فمنهاج الصحابة هو الميزان، وفهم الصحابة هو الميزان، و طريقة الصحابة هي الميزان، فهم أهل العلوم وأهل العقول وأهل الأفهام، وما حدث بعدهم فإنما حدث بالرأي، مثلما أوصاك به أبو عمرو الأوزاعي الإمام المشهور إمام أهل الشام البيروتي حيث قال: «إياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول» وإن زخرفوا الآراء بالأقوال، ونمّقوا القول وزخرفوه وجمّلوه، فإياك وإياه، لا ترغب عن السنة لأجل تحسين من حسّن رأيه بألفاظ، وخُذ بالسنة وبما جاء عن أهلها وإن كان أهلها لا يحسنون اللفظ ولا تجميله؛ لأن الميزان هو الاتباع، فمن اتبع؛ فهو الناجي، ومن ابتدع؛ فهو الهالك، وقانا وإياكم سُبُل الهلاك.

๑๑◊๑๑

١٠- وقالَ محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأَذْرَمِيُّ لرَجُلٍ تكَلَّمَ ببدْعَةٍ وَدَعَا الناسَ إليها: هَلْ عَلِمَهَا رسولُ الله ﷺ وأبو بكْرٍ وعمرُ وعثمـانُ وعليٌّ أوْ لَم يعلَموها؟ قال: لَم يعلَموها، قال: فَشَيْءٌ لَم يعلَمْه هؤلاء أَعلِمْتَهُ أنتَ؟ قال الرَّجلُ: فإنِّي أقولُ قدْ علِمُوها، قال: أَفَوَسِعَهُمْ أَلَّا يتكَلَّمُوا به ولا يدْعُوا الناسَ إليه، أمْ لَم يَسَعْهُمْ؟ قال: بَلْ وَسِعَهُمْ، قال: فَشَيْءٌ وَسِعَ رسولَ الله ﷺ وخلفاءَه، لا يَسَعُكَ أنتَ؟ فانْقَطَعَ الرَّجلُ، فقال الخليفةُ، وكان حاضِرا: لا وَسَّعَ اللهُ على مَنْ لَم يَسَعْهُ مـا وَسِعَهُمْ.

١١- وهكذا مَنْ لَم يَسَعْهُ مـا وَسِعَ رسولَ الله ﷺ وأصحابَه والتَّابعين لَهُم بإحسانٍ، والأئمةَ مِنْ بَعْدِهِمْ، والرّاسِخين في العِلْم، مِنْ تِلاوَةِ آيات الصِّفاتِ وقِراءَةِ أَخْبارِها، وإِمْرارِها كمـا جاءَت، فلا وَسَّعَ اللهُ عليه.

الشرح

مناظرة جرت عند الخليفة بين الأذرمي وصاحب بدعة:

لم أطلع على ترجمة للأذرمي ومن معه، ولا أعلم نوع البدعة المذكورة، والمهم أن نعرف مراحل هذه المناظرة لنكتسب منها طريقًا لكيفية المناظرة بين الخصوم.

وقد بنى الأذرمي – رحمه الله- مناظرته على مراحل ليعبر من كل مرحلة إلى التي تليها حتى يفحم خصمه:

المرحلة الأولى: العلم؛ فقد سأله الأذرمي هل علم هذه البدعة النبي ﷺ وخلفاؤه؟ قال البدعي: لم يعلموها، وهذا النفي يتضمن انتقاص النبي ﷺ وخلفائه حيث كانوا جاهلين بمـا هو من أهم أمور الدين، ومع ذلك فهو حجة على البدعى إذا كان لا يعلمونه ولذلك انتقل به الأذرمي إلى:

المرحلة الثانية: إذا كانوا لا يعلمونها فكيف تعلمها أنت؟ هل يمكن أن يحجب الله

عن رسوله ﷺ وخلفائه الراشدين علم شيء من الشرعية ويفتحه لك؟ فتراجع البدعي وقال: أقول قد علموها فانتقل به إلى:

المرحلة الثالثة: إذا كانوا قد علموها فهل وسعهم – أي: أمكنهم- ألا يتكلموا بذلك ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟ فأجاب البدعي بأنهم وسعهم السكوت وعدم الكلام، فقال له الأدرمي: فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاؤه لا يسعك أنت؟ فانقطع الرجل وامتنع عن الجواب؛ لأن الباب انسد أمامه.

فصوب الخليفة رأى الأدرمي ودعًا بالضيق على من لم يسعه ما وسع النبي ﷺ وخلفاؤه.

وهكذا كل صاحب باطل من بدعة أو غيرها فلابد أن يكون ماله الانقطاع عن الجواب.

بحث مهم في مسألة الصفات[1]

هذا شروع في ذكر آيات الصفات، أو نصوص الصفات التي اشتملت على ذكر أسماء الله جل وعلا أو ذكر صفاته.

وصفات الله جل وعلا تنقسم بأحد الاعتبارات إلى قسمين: صفات ذاتية، وصفات فعلية.

فالصفات الذاتية: هي التي لا تنفكُّ عن الموصوف مطلقًا، وهي في حق الله جل وعلا التي لم يزل الله جل وعلا متصفًا بها، يعني لا يتصف بها في وقت دون وقت، بل اتصافه بها دائمٌ؛ من مثل صفة الوجه، كما قال جل وعلا: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧]، ومن مثل صفة اليدين كما قال جل وعلا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وقال جل وعلا: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] ونحو ذلك

(١) للشيخ صالح آل الشيخ –حفظه الله–.

من صفات الذات.

وقوله هنا: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧] هذه أول الآيات التي ذكر، وهذه الآية صريحة في إثبات صفة الوجه لله جل وعلا، وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ وجه الدلالة منه أنه أضاف الصفة -التي هي الوجه- إلى المتصف بها؛ قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾.

ونحن نعلم أنه ما يُضاف إلى الله جل وعلا **-وهذه قاعدة-**: تارة يكون معنى، وتارة يكون ذاتًا.

وإذا كان ذاتًا؛ فتارة تكون ذاتًا تقوم بنفسها، وتارة لا تقوم بنفسها.

١. مثال المعنى الرحمة، والغضب، والرضا، فنقول: رضا الله، ورحمة الله ونحو ذلك، وهذه إضافة معنى إلى الله جل وعلا.

٢. أما إضافة الذات إلى شيء؛ فإنه يكون ذاتًا تارة، وهذا الذي يكون ذاتًا -أعني يكون مستقلًّا له معنى-، -أعني شيئًا محسوسًا، أي: يمكن أن تفهمه بأنه ليس وصفًا بدون ذات، ولكنه ذات- هذا تارة يكون قائمًا بنفسه مثل قوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾ [الشمس:١٣] فهنا أضاف الناقة إلى نفسه جل وعلا فقال: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾ والبيت بيت الله كما جاء في الحديث[1]: «**ثم خرج إلى بيت من بيوت الله**» أو «**ثم مشى إلى بيت من بيوت الله**» فهنا أضاف البيت إلى الله.

ومثال القسم الثاني: وجه الله، ويد الله، وساق الله، وقدم الله، وعين الله جل وعلا ونحو ذلك.

إذن إذا أضيف إليه ما يقوم بنفسه، فهذا الأصلُ فيه كونُ الإضافة للتشريف والتعظيم، فقوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أضاف الله جل وعلا الناقة إلى نفسه، ومعلوم أن الناقة ذات منفصلة تقوم بنفسها؛ فهذا يقتضي تشريف ما أضافه الله جل وعلا إلى نفسه،

---

(١) رواه مسلم (٦٦٦).

ويقتضي تعظيمه. وكذلك الأمر في (بيت الله).

وأما وجه الله، و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الفتح:١٠]، و﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ ونحو ذلك، فالعين، والوجه، واليد، والقدم، والساق، ونحو ذلك، هذه ذوات لكنها لا تقوم بنفسها، أعني لا وجود لوجه بدون صاحب وجه، ولا توجد يد بدون صاحب يد، ولا توجد عين بدون صاحب عين، فهذه إذا أُضيفت إلى الله جل وعلا أو إلى غيره؛ فإنها تقتضي الصفة لا التشريف بها.

فإذن تلخص لنا هنا أن الإضافة للذوات على قسمين:

- **تارة تكون إضافة للتشريف**: وهو ما أضيف إليه من الأعيان مما يقوم بنفسه.
- **وتارة الإضافة تقتضي الوصف**: إذا كان لا يقوم بنفسه.

ذكر بعض آيات الصفات

١٢- فمِمَّا جاءَ مِنْ آياتِ الصِّفاتِ قولُ الله عزّ وجل: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧]،

الشرح

الصفات التي ذكرها المؤلف من صفات الله تعالى:

ذكر المؤلف – رحمه الله – من صفات الله الصفات الآتية وسنتكلم عليها حسب ترتيب المؤلف.

الصفة الأولى: الوجه:

الوجه ثابت لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن:٢٧].

وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها**»[١] متفق عليه.

وأجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى، فيجب إثباته له بدون تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وهو وجه حقيقي يليق بالله.

وقد فسَّره أهل التعطيل بالثواب ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

قال الشيخ صالح-حفظه الله-:

قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧] وجه الاستدلال: أنه أضاف الوجه إلى الله جل وعلا؛ فقال عز من قائل سبحانه: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ فأضاف الوجه إلى الرب، فدل على أنه صفة له، والمبتدعة يقولون: (وجه هنا بمعنى الذات) أي: ويبقى ربك. فنقول: هنا قال جل وعلا: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ثم وصف الوجه بقوله:﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٧]، ولما أراد أن يصف الرب جل وعلا قال: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨] فوصف الله جل وعلا في أول السورة الوجه بأنه ذو الجلال والإكرام، ووصف نفسه سبحانه دون اسمه في آخر السورة بقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨]، وذلك أن الله جل وعلا هو ذو الجلال والإكرام وكذلك صفاته ذات جلال وإكرام.



(١) أخرجه البخاري (٥٦، ١٢٩٦، ومواضع)، ومسلم (١٦٢٨).

وقولُه سبحانَهُ وتعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]

الشرح

الصفة الثانية: اليدان:

اليدان من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال النبي ﷺ: «**يمين الله ملأى لا يغيضها نفقه، سحاء الليل والنهار**» ... إلى قوله: «**بيده الأخرى القبض يرفع ويخفض**»[1]. رواه مسلم والبخاري معناه.

وأجمع السلف على إثبات اليدين لله؛ فيجب إثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وهما يدان حقيقيتان لله تعالى يليقان به.

وقد فسرهما أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة ونحوها، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع: أن في السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعًا، كقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥].

وقوله: ﷺ «**بيده الأخرى القبض**».

الأوجه التي وردت عليها صفة اليدين وكيف نوفق بينها:

الأول: الإفراد، كقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك:١]

الثاني: التثنية، كقوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]

الثالث: الجمع، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ [يس:٧١].

والتوفيق بين هذه الوجوه: أن نقول: الوجه الأول: مفرد مضاف، فيشمل كل ما ثبت لله من يد **ولا ينافي الثنتين**، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١١، ٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣).

ثلاثة فأكثر، وحينئذٍ لا ينافي التثنية على أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنان، فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلًا.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] فيداه تجرى عليها القاعدة، وهذه من آيات الصفات أم لا؟ الجواب: نعم. من آيات الصفات؛ لأنه أضاف ذاتًا لا تقوم بنفسها إلى الله جل وعلا، أضافها إلى نفسه، فدل أنه إضافة الصفة إلى متصف بها، واليد في القرآن أتت تارة مفردة، وتارة مثنّاة، وتارة مجموعة:

- فأما المجموعة في قوله -أعني أيدي-: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس:٧١].
- وقال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥].
- وكما قال هنا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] فجعلهما اثنتين.
- الثالث أنه ذكر يدًا واحدة فقال: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١].

وهذا تعارض بين الإفراد والتثنية والجمع، فهل يوصف أن الله جل وعلا له يدٌ واحدة؟ أو يوصف بأن له يدين؟ أو يوصف بأن له أياديَ؟

الجواب: أنه يوصف جل وعلا بأن له يدين، وأما إضافة اليد الواحدة إليه جل وعلا فهذا من إضافة الجنس، وهذا معروف؛ فإنك تضيف المفرد وتريد به الجنس، وأما الجمع في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس:٧١] فهنا جمع؛ **لأن العرب من لغتها أن المثنى إذا أضيف إلى ضمير جمع أو تثنية فإنه يُجمع**، فمن لغة العرب أن المثنى إذا أضيف إلى ضمير تثنية أو جمع؛ فإنه يُجمع لأجل خفة اللفظ؛ من مثل قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤] ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هما امرأتان،

أليس كذلك؟ فخاطبهما بقوله: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، والمرأتان كم قلبًا لهما؟ لهما قلبان؛ كل واحدة لها قلب واحد، فإذا كان كذلك فلمَ جمع؟

الجواب: لأن هذا من سَنن لسان العرب؛ أنه إذا أضيف المثنى إلى ضمير مثنية أو جمع فإنه يجوز جمعه طلبًا لخفة اللفظ، فهنا في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس:٧١] ﴿أَيْدِينَآ﴾ هنا جَمع، وليس ثَمَّ معارضة بين الجمع هنا وبين قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، بل جَمَعَ هنا؛ لأنه أضاف المثنى أصلًا إلى ضمير الجمع، فجَمَعَ لأجل الخفة خفةِ اللفظ؛ إذ أصل الكلام أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت يَدَانَا أنعامًا، ثم صارت ﴿أَيْدِينَآ﴾، على ما يقتضيه اللسان العربي.

فإذنْ نصف الله جل وعلا بأن له يدين جل وعلا، والآيات التي فيها ذكر اليدين تدل على التثنية، وأما المفرد؛ فلا يعارض التثنية، والجمع كذلك لا يعارض التثنية، على أن بعض أهل العلم حمل قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس:٧١] قال: هذا جمع وأقل الجمع اثنان، وهذا إحالة إلى أمر مختلَف فيه، إذن بعض أهل العلم يقول: إن أقل الجمع ثلاثة، ولا يسوغ في مثل هذه المسائل المشكلة أن يُحال إلى أمر مختلف فيه، بل إلى أمر متيقَّن منه، وهو ما نعلمه من لغة العرب بدلالة محفوظة، والأشعار على هذه المسألة كثيرة والشواهد كثيرة -معروفة في النحو- لكن إن تحفظ آية سورة التحريم: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤].

٭٭٭

وقولُهُ تعالى إخْبارًا عنْ عيسى عليه السلامُ أنَّه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦].

الشرح

الصفة الثالثة: النفس:

النفس ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف، قال الله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال عن عيسى إنه قال: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة:١١٦].

وقال النبي ﷺ: «**سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**»[1] رواه مسلم.

وأجمع السلف على ثبوتها على الوجه اللائق به؛ فيجب إثباتها لله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.



وقولُه سبحانه: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر:٢٢].

وقولُه تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٢١٠].

الشرح

الصفة الرابعة: المجيء:

مجيء الله للفصل بين عباده يوم القيامة ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف، قال الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر:٢٢]. ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٢١٠].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

وقال النبي ﷺ: «**حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله أتاهم رب العالمين**»[١] . متفق عليه في حديث طويل، وأجمع السلف على ثبوت المجيء لله تعالى؛ فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وهو مجيء حقيقي يليق بالله تعالى.

وقد فسَّره أهل التعطيل بمجيء أمره، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

القسم الثاني: وذكر المجيء والإتيان وهذه صفات فعلية، **والصفات الفعلية**: هي التي يتصف الله جل وعلا بها بمشيئته واختياره، يعني يتصف بها بوقت دون وقت، فهو جل وعلا ليس دائمًا ينزل إلى السماء الدنيا، وليس دائمًا يجيء، وإنما يجيء إذا شاء في وقت دون وقت، وهذه تسمى الصفات الفعلية الاختيارية.



وقولُه تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩].

الشرح

الصفة الخامسة: الرضا:

الرضا من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف، قال الله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).

وقال النبي ﷺ: «**إن الله ليرضي عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»[1] رواه مسلم.

وأجمع السلف على أثبات الرضا لله تعالى؛ فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

وهو رضًا حقيقي يليق بالله تعالى.

وقد فسَّره أهل التعطيل بالثواب، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.



وقولُه تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

الشرح

الصفة السادسة: المحبة:

المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال النبي ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحبه الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»[2] متفق عليه.

وأجمع السلف على ثبوت المحبة لله يحب ويحب؛ فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٩، ٣٧٠٢، ومواضع)، ومسلم (٢٤٠٧).

وهي محبة حقيقية تليق بالله تعالى. وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب، والرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.



وقولُه تعالى في الكفّار: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦].

الشرح

الصفة السابعة: الغضب:

الغضب من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى فيمن قتل مؤمنا متعمدًا: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء:٩٣].

وقال النبي ﷺ: «**إن الله كتب كتابا عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**»[(١)]. متفق عليه.

وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله؛ فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وهو غضب حقيقي يليق بالله.

وفسَّره أهل التعطيل بالانتقام، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع: أن الله عالى غاير بين الغضب والانتقام؛ فقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف:٥٥].

أي: أغضبونا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف:٥٥]. فجعل الانتقام نتيجة للغضب فدل على أنه غيره.



---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١).

وقولُه تعالى: ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد:٢٨].

الشرح

الصفة الثامنة: السخط:

السخط من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد:٢٨].

وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك.....**»(١) الحديث رواه مسلم.

وأجمع السلف على ثبوت السخط لله؛ فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو سخط حقيقي يليق بالله.

وفسَّره أهل التعطيل بالانتقام، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.



وقولُه تعالى: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦].

الشرح

الصفة التاسعة: الكراهة:

الكراهة من الله لمن يستحقها ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦).

وقال النبي ﷺ: «**إن الله كره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[(١)]. رواه البخاري.

وأجمع السلف على ثبوت ذلك لله؛ فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وهي كراهة حقيقية من الله تليق به.

وفسَّر أهل التعطيل الكراهة بالإبعاد، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

هذه[(٢)] كلها من الصفات الفعلية؛ لأنه أضاف المعاني مثل الغضب، والرضا، والكره، والسخط إلى نفسه، والإضافة هذه تقتضي إضافة صفة إلى موصوف، والمؤولة يتأولون مثل هذه النصوص فيقولون في مثل الرضا: هو إرادة الإنعام، والغضب إرادة الانتقام.

وإذا سألتهم لمَ أوّلتم الغضب مثلًا بإرادة الانتقام؟ قالوا: لأن حقيقة الغضب هو ثوران أو غليان دم القلب، وهذه حقيقة الغضب، وهذا يجب تنزيه الله جل وعلا عنه.

نقول: لا شك أنه يجب تنزيه الله جل وعلا عن مثل هذا، ولكن هل هذا هو الغضب؟ وتلاحظ أنك في فهمك لنصوص الصفات، أو في فهمك لشبه المؤولة، لا بد أن تغوص إلى أصل كلامهم وشبهتهم حتى تستطيع الرد؛ لأنه أحيانًا يمكن أن يزخرف القول، لكن إذا رجعت إلى أصل الكلام؛ وجدت أنه باطل، ومن مثل هؤلاء الأشاعرة والماتريدية والكُلَّابية قبلهم ومن نحا نحوهم يقولون: الغضب هو إرادة

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٧، ٥٩٧٥)، ومسلم (١٧١٥، ٥٩٣).

(٢) أي ذكر الآيات الأربع السابقة وهي: قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾، و﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، و: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾، ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾.

الانتقام؛ لأن حقيقة الغضب هو غليان دم القلب. فنقول: الصواب أن الغضب صفة ينشأ عنها غليان دم القلب في ابن آدم؛ لأن ابن آدم أولًا يغضب، ثم بعد غضبه ينتج عنه غليان دم القلب، ويظهر ذلك باحمرار الوجه والانتفاخ إلى آخره.

نقول: هذا أمر ينشأ عن الغضب، وليس هو الغضب نفسَه. فإذن هم يؤولون لأنهم بنَوا على مقدمـات باطلة.

وأصل هذا التأويل من نفي الصفات؛ من رضا وغضب ونحو ذلك، أصله من جَرَاء القول بنفي الصفات الاختيارية، وأن الله جل وعلا لا يتصف بصفة في وقت دون وقت، فإمـا أن يتصف بها مطلقًا وإمـا ألَّا يتصف بها مطلقًا؛ فلهذا يؤولونه إلى الإرادة؛ ذلك لأن الإرادة من الصفات العقلية السبع التي يثبتونها، فيؤولون الصفات غير السبع بإحدى الصفات السبع التي يثبتونها، فهم يثبتون -الأشاعرة والمـاتريدية ونحوهم- سبع صفات، ويؤولون هذه الآيات بإحدى الصفات السبع.

أمـا المعتزلة والجهمية، فتارة يجعلون الاسم أو الصفة مرادًا بها مخلوقٌ منفصل؛ فالرضا بمعنى المرضي عنه، والغفور يعني المغفور له، وليس هو صفة لله لكن هو صفة للعبد، فالمخلوق هو الذي يُقال له الغفور الرحيم ونحو ذلك، وهو عمل الجهمية والمعتزلة، وتجدون هذا في بعض التفاسير.

أمـا المـاتريدية والأشاعرة والكلابية فهم يفسرونها بإحدى الصفات السبع، تارة يفسرونها بالإرادة في بعض الصفات، وتارة يفسرونها بالقدرة ونحو ذلك؛ مثل التوفيق والخِذلان يفسرونه بالقدرة لأنهم يثبتون القدرة؛ فيفسرون توفيقه سبحانه لعبده وخذلانه سبحانه لعبده بالقدرة.

المقصود من هذا: أننا نثبت هذه الصفات سواء كانت صفات ذاتية أو صفات فعلية اختيارية أو غير اختيارية نثبتها جميعًا لله جل وعلا دون تفريق كمـا جاء في

نصوص الكتاب والسنة. **وهذا أصل من الأصول**، ونقول: إن هذا الاتصاف لله جل وعلا بهذه الصفات على أساس قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١] فهنا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ والكاف هنا:

◆ **من أهل العلم من يقول**: هي صلة (يعني زائدة)، ومعنى كونها زائدة أنها للتأكيد، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ في تقدير قولك: ليس مثله شيء؛ لأن العرب تزيد حرفًا أو كلمة وتريد بالزيادة تكرير الجملة؛ تأكيدًا لها، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ على هذا القول؛ وهو أن الكاف هنا صلة يكون معناه ليس مثله شيء، فهو تأكيد للجملة بتكرارها، وهذا من مثل قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾﴾ [البلد:١]، ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾ [القيامة:١] هل هو ترك للقسم أو إثبات للقسم؟ من أهل العلم من يقول -وهو القول الظاهر-: إنه قسم ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾ [القيامة:١] يعني أقسم، لكن (لا) هنا صلة لتأكيد القسم، فيكون المعنى بوجود (لا) معناه: أقسم بيوم القيامة، وهذا من أسرار اللسان العربي الشريف.

◆ **القول الآخر**: أن الكاف هنا بمعنى المثل، هي حرف لكنها بمعنى اسم، بمعنى **مثل**، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ يعني (ليس مثلَ مثلِه شيء) وهذا يقتضي المبالغة في نفي المثيل، وورود الكاف بمعنى مثل، معروف في اللغة من مثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:٧٤] ومن مثل قول الشاعر:

لو كان في قلبي كقدر قلامة حبا لغيرك ما أتتك رسائلي

يعني لو كان في قلبي مثل قدر القلامة لغيرك لكان كذا وكذا.

فإذن هنا الكاف إما أن تكون بمعنى هذا أو ذاك، فقوله جل وعلا هنا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ هذا فيه أبلغ النفي لوجود المثيل لله جل وعلا، ثم لمّا نفى أثبت، وهذا

على القاعدة المعروفة: **أن النفي يكون مجملًا، والإثبات يكون مفصلًا.**

فنفى مجملًا فقال: (ليس مثلَ مثله شيء) ثم فَصَّل فقال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

ولم خص السمع والبصر هنا؟ قال بعض أهل العلم: وصف الله جل وعلا هنا نفسه بالسمع والبصر؛ لأن السمع والبصر من أكثر الصفات اشتراكًا بين ذوات الأرواح. فالسمع يوجد في الذباب، ويوجد في النمل، كذلك البصر يوجد في البعوض ويوجد في الإنسان ويوجد في الهرّ؛ أي: في جميع المخلوقات سمع وبصر، فينبهك إلى أمر وهو هل سمع البعوض وبصره مثل سمع ابن آدم وبصره؟ لا. رغم اشتراك ابن آدم مع البعوض في بعض معنى السمع والبصر؛ لأن السمع ما تدرك به المسموعات، والبصر ما تدرك به المرئيات، فالبعوض له سمع وبصر يناسب ذاته، وابن آدم له سمع وبصر يناسب ذاته، ولا يقارن به سمع وبصر البعوض.

فنبه الله جل وعلا بهاتين الصفتين: السمع والبصر؛ لأجل اشتراكهما في كثير من ذوات الأرواح؛ أنه كما لا تتماثل ذوات الأرواح في الاتصاف بهاتين الصفتين، فكذلك جل وعلا له سمع وبصر ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، مع قطع المماثلة وقطع طمع إدراك الكيفية لصفات الله جل وعلا، فله جل وعلا سمع وبصر يناسب ذاته العظيمة الجليلة جل وعلا وتقدس وتعاظم.

ﮋﮋ◊ﮊﮊ

ذكر بعض أحاديث الصفات

١٣- ومِنَ السُّنَّةِ قَوْلُ النّبيُّ ﷺ: «**يَنزِلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلّ ليلةٍ إلى سماءِ الدّنيا**»[1].

الشرح

الصفة العاشرة: النزول:

نزول الله إلى السماء الدنيا من صفاته الثابتة له بالسنة وإجماع السلف.

قال النبي ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له....**» الحديث متفق عليه.

وأجمع السلف على ثبوت النزول لله؛ فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، و لا تكييف ولا تمثيل، وهو نزول حقيقي يليق بالله.

وفسَّره أهل التعطيل بنزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع: أن الأمر ونحوه لا يمكن أن يقول: من يدعوني فأستجيب له...ألخ.

---

(١) صحيح: تقدم.

قال الشيخ صالح-حفظه الله-:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلما ذكر المؤلف ابن قدامة رحمه الله تعالى أن الأصل الجامع لمذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات: **أنهم يُمرُّونها كما جاءت لإثبات ذلك لفظًا ومعنى، والإيمان بما اشتملت عليه لا يتجاوزون القرآن والحديث**، بدأ بتفصيل الكلام على بعض الصفات، فذكر بعض الأدلة من التنزيل؛ من القرآن على بعض الصفات، كما مر معنا، ثم ذكر ما هو من الأحاديث في الصفات، فذكر حديث النزول وهو قول النبي ﷺ: «**ينزل ربنا كل آخر ليلة**» وفي لفظ آخر: «**ينزل ربنا في الثلث الأخير من كل ليلة**» وفي بعض الروايات: «**في النصف الأخير من كل ليلة، فينادي عبادَه**: هل من سائل **فأعطيَه؟ هل من داعٍ فأستجيب له**؟ هل من **مستغفر فأغفر له؟**» وهذا نزول خاص يليق بجلال الله جل وعلا وعظمته، وليس هو كنزول المخلوقين، كما يُعلم من نزولهم، وإنما هو نزول خاص بالله جل وعلا كسائر صفاته؛ يُثبت المعنى ويُنفى العلم بالكيفية؛ لأن الله جل وعلا لا تتمثله العقول بالتفكير ولا تتخيله القلوب بالتصوير﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:١١]، فالنزول يثبت لله جل وعلا على معتقد أهل السنة والجماعة، وأما المبتدعة من الكلابية والأشاعرة والماتريدية، ومن قبلهم من المعتزلة ونحوهم؛ فيتأولون هذه الأحاديث إذا أثبتوها، بأن معنى النزول نزول رحمته، والجواب عن هذا

التأويل من وجوه:

* **أولًا**: أنه خلاف الأصل، والله جل وعلا أوجب علينا أن نؤمن بظاهر الآيات والأحاديث.

* **والثاني**: أن رحمته جل وعلا نازلة على العباد في كل حين، فتخصيص الثلث الأخير من الليل بنزول الرحمة لا معنى له؛ لأن رحمة الله جل وعلا نازلة في كل حين وأوان، بل العباد لا يخلون من رحمة الله جل وعلا، ولو أُخلوا من رحمة الله جل وعلا لفسدت معايشهم ولهلكت أنفسهم.

وهذا تأويل باطل من أن يتأول النزول بنزول الرحمة، بل هو نزول الرب جل وعلا، وصفه بذلك نبيه عليه الصلاة والسلام، إذ لا يصف الله جل وعلا أحد من الخلق أعلم من رسول الله ﷺ، ولا أكثر تنزيهًا وتعظيمًا من رسول الله ﷺ.



وقولُه: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»(١).

الشرح

الصفة الحادية عشرة: العجب؟

العجب من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢﴾ [الصافات:١٢]. على قراءة ضم التاء.

(١) ضعيف: رواه أحمد (١٦٩٢٠)، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع (١٦٥٨).

وقال النبي ﷺ: «**يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة**». رواه أحمد وهو في المسند (ص ١٥١ ج٤) عن عقبة بن عامر مرفوعًا، وفيه ابن لهيعة.

وأجمع السلف على ثبوت العجب لله؛ فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وهو عجب حقيقي يليق بالله.

وفسَّره أهل التعطيل بالمجازاة، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

والعجب نوعان:

إحداهما: أن يكون صادرا عن خفاء الأسباب على المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه، وهذا النوع مستحيل على الله؛ لأن الله لا يخفى عليه شيء.

الثاني: أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب، وهذا هو الثابت لله تعالى.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

ثم ذكر الصفة الثانية ألا وهي صفة العجب؛ فذكر الحديث المشهور المعروف الذي رواه الإمام أحمد وغيره من أن النبي ﷺ قال: «**عجب ربنا من شاب ليست له صبوة**» يعني ليس له ميل وجنوح إلى ما يهتم به الشباب من الشهوات وغير ذلك، فقال: (**عجب ربنا**) وهذا الحديث من جنس أحاديث الصفات فيه ذكر صفة العجب، وأن الله جل وعلا يعجب، وهذه الصفة؛ صفة العجب ذُكرت في القرآن في قول الله تعالى في سورة الصافات: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصافات:١٢-١٣] على القراءة السبعية الثانية إذْ في الآية قراءتان القراءة الأولى ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الصافات:١٢] والقراءة السبعية المتواترة الثانية: (**بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُون**) [الصافات:١٢]، فإذن تكون صفة العجب دل عليها القرآن والسنة، ويوصف الله جل

وعلا بالعجب كما وصف به نفسه، وليس وصف الله جل وعلا بالعجب من الفعل، أو مما يعمله العبد، ناتجًا عن عدم العلم؛ بل هو من كماله جل وعلا، إذِ العجب تارة يكون عن عدم علم وتارة يكون عن علم، والعجب يقتضي رفع منزلة المُتعجَّب منه، وهذا يثبت لله جل وعلا كما قال جل وعلا: **﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾**، أو كما جاء في الأحاديث التي فيها إثبات صفة العجب من مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «**عجب ربكم من قنوط عباده وقرب غيره، ينظرون إليكم أزلين قانطين يعلم أن فرجكم قريب**»[1] وغير ذلك من الأحاديث.

فهذه الأحاديث وأمثالها مما صح إسناده وعُدِّلت نَقَلته، نثبت ما جاء فيها على القاعدة المقررة من أنه **إثبات بلا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه**.



وقولُه: «**يَضحَكُ اللهُ إلى رجُلَين يَقتُلُ أحدُهما الآخرَ يَدخُلانِ الجنّة**»[2].

الشرح

الصفة الثانية عشرة: الضحك:

الضحك من صفات الله الثابتة له بالسنة وإجماع السلف.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن روى ابن ماجه (١٨١) النصف الأول منه إلى قوله: «...وقرب غيره»، وأما من أول «ينظرون إليكم...» فقد ذكره الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٥رقم ٨٦٨٣) جزء من حديث طويل فيه «علم المنية قد علم متى منية أحدكم و لا تعلمونه و علم يوم الغيث يشرف عليكم آزلين مشفقين فظل يضحك وقد علم أن فرجكم قريب»

(٢) رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠).

قال النبي ﷺ: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة**».

وتمام الحديث: «**يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**»[1].

متفق عليه.

وأجمع السلف على إثبات الضحك لله؛ فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف و لا تمثيل، وهو ضحك حقيقي يليق بالله تعالى.

وفسَّره أهل التعطيل بالثواب، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.



١٤- فهذا وما أَشْبَهَهُ مِمّا صَحَّ سَنَدُهُ، وعُدِّلَت رُوَاتُه، نُؤْمِنُ بِهِ، ولا نَرُدُّهُ، ولا نَجْحَدُهُ، ولا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخالِفُ ظاهِرَه، ولا نُشَبِّهُهُ بصفاتِ المخلوقين، ولا بِسِماتِ المُحْدِثِينَ، ونعلَمُ أنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى لا شبيهَ لَهُ، ولا نظيرَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى:١١]، وكلُّ ما تُخِيِّلَ في الذِّهْنِ أوْ خَطَرَ بالبَالِ، فإنَّ اللهَ تعالى بخلافِه.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

قال المؤلف رحمه الله كلمة عظيمة مهمة قال: (**وما خطر ببالك فإن الله جل وعلا بخلافه**) إذا خطر في بال المرء أن الله جل وعلا في اتصافه بالصفة يكون على النحو الذي خطر بباله، أو تخيل صورة، فليجزم بأن الله جل وعلا بخلاف ما تخيل، وذلك لأن المرء لا يمكن أن يتخيل شيئًا أو يتصور شيئًا إلا إذا كان:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠).

* قد رآه.

* **الثاني**: أن يكون قد رأى مثله.

* **الثالث**: أنه قد رأى جنسه.

* **الرابع**: أنه وُصف له وصف كيفية.

وهذه الأربع لا تنطبق على صفات الله جل وعلا، فإن الله جل وعلا لم يُر حتى تتخيله القلوب بالتصوير، ولم يُر جنسه، وكذلك لم يوصف وصف كيفية، فلهذا كل ما خطر بعقلك أو تصوره قلبُك؛ فلتجزم بأنه الله جل وعلا بخلاف ذلك، فهذه قاعدة عظيمة، والشيطان وإبليس يأتي للمؤمن فيجعله يتصور، ويُصَوِّر له ربه جل وعلا على نحو من الصور، وهذا لأجل أن يُشغل العبد عن تنزيه الله جل وعلا، وعن إثبات الصفات لله جل وعلا على ما يجب له سبحانه وتعالى، وليدخله في نوع من الضلالات من التجسيم و التشبيه والتمثيل ونحو ذلك.

فذكر المؤلف القاعدة العظيمة في هذا؛ وهو أنَّه ما خطر ببالك أو تصوره بقلبك فاعلم بأن الله جل وعلا بخلافه.



١٥- ومنْ ذَلكَ قولُه تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1] [طه:٥].

---

(١) قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في تعليقه على العقيدة الطحاوية: اعلم أن العرش خلق عظيم جداً كما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولذلك أضافه تعالى إلى نفسه في قوله: ﴿ ذو العرش ﴾ وفيه آيات أخر تجدها في «الشرح». وهو لغة: سرير الملك، ومن أوصافه في القرآن: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة:١٧] وأنه على الماء، وفي السنة أن أحد حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وأن له قوائم، وأنه سقف جنة الفردوس. جاء ذلك في أحاديث صحيحة مذكورة في «الشرح». وذلك كله مما يبطل تأويل العرش بأنه عبارة عن الملك وسعة السلطان! .

وأما الكرسي، ففيه قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [البقرة:٢٥٥] والكرسي هو الذي بين يدي العرش، وقد صح عن ابن عباس موقوفاً عليه من قوله: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا=

الشرح

الصفة الثالثة عشرة: الاستواء على العرش:

استواء الله على العرش من صفاته الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]. وذكر استواءه على عرشه في سبعة مواضع من القرآن.

وقال النبي ﷺ: «**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي**»[١] رواه البخاري.

وقال النبي ﷺ فيما رواه أبو داود في سننه: «**إن بُعد ما بين سماء إلى سماء إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة**» إلى أن قال: «**في العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تعالى فوق ذلك**»[٢]. وأخرجه أيضًا الترمذي وابن ماجه، وفيه علّة أجاب عنها ابن القيم ـ رحمه الله ـ في تهذيب سنن أبي داود (ص ٩٣، ٩٢) (ج ٧) وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه؛ فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وهو استواء حقيقي معناه: العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى.

= يقدر قدره إلا الله تعالى». وهو مخرج في كتابي «مختصر العلو للذهبي» يسر الله طبعه ولم يصح فيه مرفوعاً سوى قوله عليه الصلاة والسلام: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة». وذلك مما يبطل أيضاً تأويل الكرسي بالعلم. ولم يصح هذا التأويل عن ابن عباس كما بينته في «الصحيحة» (١٠٩).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٣٢٠)، وأبو داود (٤٧٢٣)، وابن ماجه (١٩٣)، وضعفه العلامة الألباني في سنن أبي داود (٤/ ٢٣١)، وجامع الترمذي (٥/ ٤٢٤)، والمشكاة (٥٧٢٦)، والضعيفة (١٢٤٧).

وقد فسَّره أهل التعطيل بالاستيلاء، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، ونزيد وجهًا رابعاً: أنه لا يعرف في اللغة العربية بهذا المعنى، ووجهًا خامسًا: أنه يلزم عليه لوازم باطلة مثل: أن العرش لم يكن ملكًا لله ثم استولى عليه بعد!!

والعرش لغة: السرير الخاص بالملك، وفي الشرع: العرش العظيم الذي استوى عليه الرحمن ﷻ وهو أعلى المخلوقات وأكبرها، وصفه الله بأنه عظيم وبأنه كريم وبأنه مجيد.

والكرسي غير العرش؛ لأن العرش هو ما استوى عليه الله تعالى، والكرسي موضع قدميه لقول ابن عباس رضي الله عنهما: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يُقَدِّر أحد قدره». رواه الحاكم في مستدركه، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.



وقولُه تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦].

وقولُ النبيِّ ﷺ: «رَبُّنَا الله الَّذِي في السَّماءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ»(١).

وقال للجاريَة «أَيْنَ الله؟» قالتْ: في السَّماءِ قال: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»(٢). رواه مالكُ بنُ أَنَسٍ ومسلمٌ وغيرُهما مِنَ الأئمة.

١٦- وقالَ النبيُّ ﷺ لِحُصَيْنٍ: «كَمْ إلهًا تَعْبُدُ؟» قال: سبعةً؛ سِتَّةً في الأرضِ وواحِدًا في السَّماءِ، قالَ: «مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟» قالَ: الَّذي في السَّماء، قالَ: «فَاتْرُكِ السِّتَّةَ وَاعْبُدِ الذِي في السَّماءِ وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْنِ» فَأَسْلَمَ وَعَلَّمَهُ النَّبيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «اللهُمَّ

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، وضعفه العلامة الألباني في سنن أبي داود (٤/ ١٢)، والمشكاة (١٥٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧).

أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي»[١].

١٧-وَفِيمَا نُقِلَ مِنْ عَلامَاتِ النبيِّ ﷺ وَأصحابِهِ في الكُتُبِ المتقدِّمةِ أنَّهم يَسْجُدون بالأرْضِ، ويَزْعُمون أنَّ إلهَهُمْ في السَّمَاءِ.

١٨- وَرَوَى أبو داودَ في «سُننه» أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «إنَّ مَا بَيْنَ سمَاءٍ إلى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ كذَا وَكذَا -وذَكَرَ الخَبَرَ إلى قَوْلِهِ- وَفَوْقَ ذَلِكَ العَرْشُ وَاللهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ»[٢].

١٩- فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ السَّلَفُ رَحِمَهم اللهُ على نَقْلِهِ وقَبُولِهِ ولم يَتَعَرَّضُوا لِرَدِّهِ ولا تَأْوِيلِهِ ولا تَشْبِيهِهِ ولا تَمْثِيلِه.

الشرح

الصفة الرابعة عشرة : العلو:

العلو من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وكان النبي ﷺ يقول في صلاته في السجود: «**سبحان ربي الأعلى**»[٣]. رواه مسلم من حديث حذيفة، وأجمع السلف على ثبوت العلو لله؛ فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وهو علو حقيقي يليق بالله.

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٤٨٣)، وضعفه العلامة الألباني في جامع الترمذي (٥/ ٥١٩)، والجامع الصغير (٤٠٩٨)، ورياض الصالحين (١٤٩٥).

(٢) ضعفه العلامة الألباني في تخريج الطحاوية.

(٣) أخرجه مسلم (٧٧٢).

وينقسم إلى قسمين:

أ) علو صفة، بمعني: أن صفاته تعالى عُلْيا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ودليله مـا سبق.

ب) وعلو ذات، بمعني: أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته، ودليله مع مـا سبق.

قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦].

وقول النبي ﷺ: «**ربنا الله الذي في السمـاء تقدس اسمك.....**». الحديث رواه أبو داود، وفيه زيادة بن محمد، قال البخاري: منكر الحديث.

وقوله ﷺ للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السمـاء. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**» رواه مسلم في قصة معاوية بن الحكم.

وقوله ﷺ لحصين بن عبيد الخزاعي والد عمران بن حصين: «**اترك الستة واعبد الذي في السمـاء**». هذا هو اللفظ الذي ذكره المؤلف، وذكره في الإصابة من رواية ابن خزيمة في قصة إسلامه بلفظ غير هذا، وفيه إقرار النبي ﷺ لحصين حين قال: «**ستة في الأرض وواحدا في السمـاء**».

وأجمع السلف على ثبوت علو الله وكونه في السمـاء؛ فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

وقد أنكر أهل التعطيل كون الله بذاته في السمـاء وفسَّروا معناها: أن في السمـاء ملكه وسلطانه ونحوه، ونرد عليهم بمـا سبق في القاعدة الرابعة.

وبوجه رابع: أن ملك الله وسلطانه في السمـاء وفي الأرض أيضًا.

وبوجه خامس: وهو دلالة العقل عليه؛ لأنه صفة كمـال.

وبوجه سادس: وهو دلالة الفطرة عليه؛ لأن الخلق مفطورون على أن الله في السمـاء.

معنى كون الله فِي السماء:

المعنى الصحيح لكون الله فِي السماء: أن الله تعالى على السماء فـ«في» بمعنى: «على» وليست للظرفية؛ لأن السماء لا تحيط بالله، أو أنه في العلو، فالسماء بمعنى العلو؛ وليس المراد بها السماء المبنية.

تنبيه: ذكر المؤلف – رحمه الله – أنه نقل عن بعض الكتب المتقدمة أن من علامات النبي ﷺ وأصحابه أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء؛ وهذا النقل غير صحيح؛ لأنه لا سند له؛ ولأن الإيمان بعلو الله والسجود له لا يختصان بهذه الأمة، وما لا يختص لا يصح أن يكون علامة؛ ولأن التعبير بالزعم في هذا الأمر ليس بمدح؛ لأن أكثر ما يأتي الزعم فيما يشك فيه.

قال الشيخ صالح-حفظه الله-:

هذه الجمل[1] **فيها إثبات لصفة العلو لله جل وعلا**، فذكر استواء الله جل وعلا على العرش، ثم ذكر صفة العلو، واستدل لها بقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، وبحديث حُصين المعروف، وبوصف النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة.

وصفة العلو لله جل وعلا ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع وبدلالة الفطرة على ذلك؛ فإن علو الله جل وعلا مركوز في الفطر، وقد جاء من الأدلة في كتاب الله وفي سنة نبيه ﷺ ما يزيد على ألف دليل يدلّ على أن الله جل وعلا عالٍ على خلقه.

والعلو ثلاثة أقسام:

- علو الذّات.
- وعلو القَهْر.

---

(١) وهي الجمل السابق ذكرها والجملة (٢٠) الآتية.التي ذكرها المؤلف في مسألة العلو

♦ وعلو القَدْر.

وأهل السنة والجماعة يثبتون علو الله جل وعلا بأقسامه الثلاثة؛ فهو جل وعلا عالٍ على خلقه بذاته، كما أنه جل وعلا عالٍ على خلقه بقدره، كما أنه جل وعلا عالٍ على خلقه بقهره وبجبروته.

وأما المبتدعة فإنهم يؤولون العلو بعلو القهر والقدر، وينفون علو الذات.

وهذه المسألة من المسائل العظيمة التي يجري فيها الامتحان بين أهل السنة والجماعة وبين المبتدعة الضُّلاَّل، فمن أنكر العلو؛ فهذا من أهل الضلال ومن أهل الزيغ؛ بل قد حكم طائفة من أهل العلم بكفره؛ لأنه ينفي ما دل القرآن عليه ودلت نصوص السنة عليه بأكثر من دليل، فمسألة العلو هي من أظهر مسائل الصفات، فمن أنكر العلو فهو على شفير هلكة، ومبتدع بدعة مغلظة، وهذا إن لم يصل به الأمر إلى الكفر بالله جل وعلا.

وقول النبي عليه الصلاة والسلام للجارية أين الله؟ قالت: في السماء، فيما رواه مسلم في الصحيح، وكذلك قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] (فِي) هنا الصحيح أنها بمعنى (على) ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] يعني من على السماء، فهذا فيه إثبات العلو، ومجيء (في) بمعنى (على) ثابت معروف في لغة العرب، وجاء استعمال ذلك في القرآن؛ أرأيت قول الله جل وعلا: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١] ومعلوم أن التصليب يكون على الجذوع لا أن تُجعل الجذوع ضلفًا للمصلبين؛ يعني أنهم يصلبون عليها، وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] يعني مَنْ على السماء؛ وذلك أن السماء تُفَسَّر تارة بالعلو، فإن السماء اسم لما علا، فالعلو يُطلق عليه السماء، فكل ما علا يُطلق عليه السماء، والعلو المطلق يطلق عليه السماء، وسميت السماوات بهذا الاسم لعلوها، وكذلك سمي المطر سماءً لأجل علوه.

قال الشاعر:

إذا نـــزلَ السمـــاءُ بـأرضِ قــومٍ   رأينـــاهُ وإنْ كـــانوا غِضـــابا

ويعني بالسمـاء المطر، وهذا لأنه يأتي من جهة العلو، فالسمـاء بمعنى العلو.

قال بعض أهل العلم: ليس المراد هنا بالسمـاء العلو، ولكن جنس السمـاوات السبع. فيكون المعنى من على السمـاوات، وذلك أن الله جل وعلا مُتصف بأنه مستوٍ على عرشه العظيم.

وأخصّ من العلو الاستواء على العرش، والعرش في اللغة هو سرير الملك، وهو مشتق من الارتفاع، فسُمِّي العرش عرشًا لارتفاعه ولعلوه: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ [الأنعام:١٤١]، ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل:٦٨]، ونحو ذلك، هذا كله فيه معنى الارتفاع والعلو، فالله جل وعلا استوى على عرشه وهو **سرير ملكه جل وعلا استواءً** يليق بجلاله وعظمته، والاستواء معناه في اللغة: العلو؛ **استوى بمعنى علا، قال جل** وعلا: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون:٢٨] معنى قوله: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ يعني عَلَوْتُمْ على الفلك.

قال ابن الأعرابي -أحد أئمة اللغة المعروفون-: كنا عند أحد الأعراب فأطلّ علينا مِن على بيته وقال: استووا إليَّ، يعني ارتفعوا إليَّ، واصعدوا إليَّ. فهذا هو المعروف في لغة العرب؛ لأن استوى بمعنى علا على الشيء، لكن قد يُضمَّن هذا العلو معنىً آخر بحسب الحرف الذي يُعدَّى به الفعل، كما قال جل وعلا: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١] ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ترى أنّه من السلف ومن أهل العلم من فسرها بمعنى قصد وعمد. وهذا مما يسمى التفسير باللازم؛ فإنه مع العلو هناك قصد وعمد، وذلك مستفاد من قوله (إِلَى السَّمَاءِ) فلما عدّى الفعل بـ﴿إِلَى﴾ قال ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾

علمنا أنه مُضمَّن معنى القصد والعمد، والتضمين فيه إثبات لأصل المعنى مع زيادة ما دل عليه الحرف الذي عُدِّيَ الفعل به.

والاستواء على العرش مما تميز به أهل السنة، فالمبتدعة يُنكرون استواء الله جل وعلا على عرشه:

١. فطائفة منهم يجعلون الاستواء على العرش عبارة عن الاستيلاء عليه، وهذا فيه تنقّص لله جل وعلا؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] فبيّن أن الاستواء على العرش كان بعد أن لم يكن، فإذا فسر الاستواء بالاستيلاء دلّ هذا على أن الاستيلاء من الله جل وعلا على العرش لم يكن ثم كان، وهذا فيه تنقّص لله جل وعلا؛ إذ فيه سلب قهره وجبروته على خلقه أجمعين، فهذا يُبيّن ويُقرّر أن الاستواء ليس إلا بمعنى العلو.

٢. بعضهم فسّر «الاستواء على العرش» بأنّه يعني «العرش» بأنه العلم، واستوى على العرش يعني حاز العلم وكَمُل له العلم، وهذا أيضًا باطل.

٣. ومنهم من فسَّر «العرش» بالكرسي، والكرسي يقولون: هو العرش.

وهذه أقوال كلها ليس هذا مجال تفصيل الرد على أصحابها، لكنها جميعًا مخالفة لما تقتضيه الأدلة، ولما هو ظاهر الأدلة، ولما دل عليه القرآن والسنة.

والاستواء على العرش يختلف عن العلو بأنه أخصّ منه، فالله جل وعلا من صفاته الذاتية العلو، وأما الاستواء فإنه صفة فعلية باعتبار أنه جل وعلا لم يكن مستويًا على العرش ثم استوى، وصفة ذاتية باعتبار أن الله جل وعلا لم يزل مستويًا على عرشه منذ استوى عليه؛ يعني أنه لا يستوي في حال دون حال، بل هو جل وعلا مستوٍ على عرشه لا ينفكُّ عن هذا الوصف.

❧❧◊☙☙

٢٠- سُئِلَ الإمـامُ مـالك بنُ أنسٍ رَحمه اللهُ فَقِيلَ: يا أبَا عبدِ الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] كيْف استوى؟ فقال: الاسْتِواءُ غيْرُ مجهولٍ، والكيْفُ غيْرُ معْقولٍ، والإيمـانُ به واجبٌ والسُّؤالُ عنْه بدعةٌ، ثُمّ أَمَرَ بالرَّجُلِ فأُخْرِجَ.

الشرح

جواب الإمـام مـالك بن أنس بن مـالك، وليس أبوه أنس بن مـالك الصحابي؛ بل غيره، وكان جد مـالك من كبار التابعين، وأبو جده من الصحابة، ولد مـالك سنة ٩٣هـ بالمدينة ومـات فيها سنة ١٧٩هـ وهو في عصر تابعى التابعين.

سُئِلَ مـالك فقيل: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥].

كيف استوى؟ فقال - رحمه الله -: «الاستواء غير مجهول». أي: معلوم المعنى وهو العلو والاستقرار، «والكيف غير معقول». أي: كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل؛ لأن الله تعالى أعظم وأجل من أن تدرك العقول كيفية صفاته، «والإيمـان به». أي: الاستواء «واجب»؛ لوروده في الكتاب والسنة، «والسؤال عنه». أي: عن الكيف «بدعة»؛ لأن السؤال عنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأصحابه، ثم أمر بالسائل فأُخرج من المسجد خوفًا من أن يفتن الناس في عقيدتهم وتعزيرًا له بمنعه من مجالس العلم.

๑๑◊๑๑

فصل كلام الله تعالى

٢١-ومِنْ صِفات الله تعالى أَنَّه مُتكَلِّمٌ بكلامٍ قَديمٍ، يُسْمِعُهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ. سَمِعَهُ مُوسى عليْه السلامُ مِنْهُ مِنْ غيْرِ وَاسِطَةٍ، وسَمِعَهُ جِبْرِيلُ عليْه السلامُ، وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ ملائكتِهِ، وَرُسُلِهِ.

٢٢-وأَنَّه سُبْحَانَه يُكَلِّمُ المؤمنين في الآخِرَةِ، ويُكلِّمُونَهُ، ويَأْذَنُ لهم فَيَزُورُونَهُ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء:١٦٤]، وقال سبْحانه: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤]، وقال سبْحانه: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وقال سبْحانه: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١]، وقال سبْحانه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١١-١٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه:١٤] وغيْرُ جائِزٍ أنْ يقولَ هذا أَحَدٌ غيْرُ الله.

٢٣- وقالَ عبْدُ الله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: إذَا تَكَلَّمَ اللهُ بالوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمـاءِ، رُوي ذلك عَنِ النبي ﷺ.

٢٤- وَرَوى عبدُ الله بْنُ أُنَيْسٍ عَنِ النَّبي ﷺ أَنَّه قالَ: «**يَحْشُرُ الله الخلائِقَ يوْمَ القيامَةِ عُرَاةً حُفاةً غُرْلاً بُهْمًـا فَيُنادِيهم بصوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَـا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الملِكُ، أنَا الدَّيَّان**»(١) رواهُ الأئمةُ واسْتَشْهَدَ به البخاريُّ.

٢٥- وفي بعْضِ الآثارِ أَنَّ موسى عليْه السلامُ ليْلَةَ رأى النّارَ فَهالَتْهُ، فَفَزِعَ منْها، فَناداهُ رَبُّهُ: يا موسى! فأجابَ سريعًا اسْتِئْناسًا بالصَّوْتِ، فَقَالَ: لبَّيْكَ لبَّيْكَ أَسْمَعُ

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (١٥٦١٢)، حسنه العلامة الألباني في الترغيب والترهيب (٣٦٠٨).

صوْتَكَ ولا أَرَى مكانَكَ، فأين أنتَ؟ فقال: أنا فوْقَكَ، وَأَمَامَكَ، وعَنْ يَمِينِكَ، وعَنْ شِمَالِكَ، فَعَلِمَ أنَّ هذِهِ الصِّفَةَ لا تَنْبَغِي إلَّا لله تَعالى. قال: كَذَلِكَ أنْتَ يَا إِلهي أفكلامَك أسمعُ أمْ كلامَ رسولِك؟ قال: بلْ كلامي يا موسى.

الشرح

الصفة الخامسة عشرة: الكلام:

الكلام صفة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء:١٦٤].

﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال النبي ﷺ: «**إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي**»[١]. أخرجه ابن خزيمة، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله؛ فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

وهو كلام حقيقي يليق بالله، يتعلق بمشيئته، بحروف وأصوات مسموعة.

* والدليل على أنه بمشيئته: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فالتكليم حصل بعد مجيء موسي؛ فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى.

المخالفون لأهل السنة في كلام الله تعالى:

خالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منهم طائفتين:

الطائفة الأولى: الجهمية، قالوا: ليس الكلام من صفات الله، وإنما هو خلق من

---

(١) ضعيف: ضعفه العلامة الألباني في ضلال الجنة (٥١٥).

مخلوقات الله يخلقه الله في الهواء أو في المحل الذي يُسمع منه، وإضافته إلى الله إضافة خلق أو تشريف، مثل: ناقة الله وبيت الله، ونرد عليهم بما يلي:

١- إنه خلاف إجماع السلف.

٢- خلاف المعقول؛ لأن الكلام صفة للمتكلم، وليس شيئًا قائمًا بنفسه منفصلًا عن المتكلم.

٣- إن موسى سمع الله يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه:١٤].

ومحال أن يقول ذلك أحد إلا الله ﷻ.

الطائفة الثانية: الأشعرية، قالوا: كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته، وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله،ونرد عليهم بما يلي:

١- إنه خلاف إجماع السلف.

٢- خلاف الأدلة؛ لأنها تدل على أن كلام الله يُسمع، ولا يُسمع إلا الصوت، لا يسمع المعنى القائم بالنفس.

٣- خلاف المعهود؛ لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه.

* والدليل على أنه حروف؛ قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠﴾ [طه:١١, ١٢]. فإن هذه الكلمات حروف وهي كلام الله.

* والدليل على أنه بصوت: قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢﴾ [مريم:٥٢]. والنداء والمناجاة لا تكون إلا بالصوت.

وروى عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال: «**يحشر الله الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب: أنا الملك أنا الديان**»، علقه البخاري بصيغة

التمريض، قال في الفتح: أخرجه المصنف في الأدب المفرد وأحمد وأبو يعلى في مسنديهما، وذكر له طريقين آخرين.

وكلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد.

ومعنى قديم النوع: أن الله لم يزال متكلمًا، ليس الكلام حادثًا منه بعد أن لم يكن.

ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه، أي: الكلام المعين المخصوص، حادث؛ لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء.

تعليق على كلام المؤلف في فصل الكلام:

قوله: «متكلم بكلام قديم» يعني: قديم حادث الآحاد لا يصلح إلا هذا المعنى على مذهب أهل السنة والجماعة، وإن كان ظاهر كلامه أنه قديم النوع والآحاد.

قوله: «سمعه موسى من غير واسطة»؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ [طه: ١٣].

قوله: «وسمعه جبريل»؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل:١٠٢].

قوله: «ومن أذن له من ملائكته ورسله». أما الملائكة فلقوله ﷺ: «**ولكن ربنا إذا قضى أمرًا سبح حملة العرش؛ ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم؛ حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش:** ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾ [سبأ:٢٣]. **فيخبرونهم**»[1]. الحديث رواه مسلم.

وأما الرسل: فقد ثبت أن الله كلم محمدًا ﷺ ليلة المعراج.

وقوله: «وإنه سبحانه يكلم المؤمنين ويكلمونه» لحديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك**»[2]. الحديث

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٩، ٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

متفق عليه.

وقوله: «ويأذن لهم فيزورونه»؛ لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم...**»[(١)]. الحديث رواه ابن ماجه، والترمذي وقال: غريب، وضعفه الألباني.

وقوله: وقال ابن مسعود: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء وروى ذلك عن النبي ﷺ». أثر ابن مسعود لم أجده بهذا اللفظ، وذكر ابن خزيمة طرقه في كتاب التوحيد بألفاظ منها: «سمع أهل السموات للسموات صلصلة». وأما المروي عن النبي ﷺ فهو من حديث النواس بن سمعان مرفوعًا: «**إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي، فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفة** – أو قال: رعدة- **شديدة من خوف الله؛ فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا....**»[(٢)] الحديث. رواه ابن خزيمة، وابن أبي حاتم.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

صفة الكلام ثابتة لله جل وعلا بالعقل وبالسمع؛ ولهذا الذين يثبتون الصفات السبع أو الثمان **يجعلون** صفة الكلام من تلك الصفات التي يثبتونها؛ لأنه دلّ عليها العقل، كما **أنه دل عليها** النقل.

أما **دليل العقل على** هذه الصفة؛ فهو أنه جل وعلا ذكر الآلهة التي ادِّعيت وجعل عدم كلامها **دليلًا على عجزها** وأنها لا تصلح آلهة قال جل وعلا: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ

---

(١) ضعيف: **أخرجه الترمذي** (٢٥٤٩)، وابن ماجه (٤٣٣٦)، وضعفه العلامة الألباني في سنن ابن ماجه (٢/ ١٤٥٠)، **وجامع الترمذي** (٥/ ٦٨٩)، والضعيفة (١٧٢٢).

(٢) ضعيف: **ضعفه العلامة الألباني** في ظلال الجنة (٥١٥).

إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾﴾ [طه:٨٩]، وكذلك في قوله جل وعلا: ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء:٦٣] وذلك أن الفارق بين الحيّ ومن ليست فيه حياة هو الكلام، فإذا كان متكلمًا كان هذا أكمل؛ بل كان هذا من صفات الكمال، فالكلام من صفات الكمال، وعدم الكلام من صفات النقص، ولهذا كان هذا يصلح دليلًا عقليًا.

كما أن السمع أثبت صفة الكلام في نصوص الكتاب والسنة، كما سمعتم من إيراد المؤلف وهي ظاهرة في الدلالة على صفة الكلام، قال جل وعلا: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء :١٦٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقد سأل بعض أهل البدع أحد أئمة اللغة عن قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء :١٦٤]، سأله أن يقرأه بنصب لفظ الجلالة؛ يعني وكلّم اللهَ موسى تكليمًا؛ يعني أن يجعل المتكلم هو موسى وأن يجعل الله جل وعلا هو المكلَّم، رغبة منه في نفي الصفة؛ صفة الكلام لله جل وعلا، وذلك الرجل هو أحد رءوس المعتزلة -أظنه عمرو بن عبيد- يقول: فقال هذا الإمام: هَبْنِي قرأتُها كذلك فما تصنع بقول الله جل وعلا: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]. وهذا يدلُّك على أن أهل البدع لهم رغبة في نفي الكتاب والسنة.

وصفة الكلام ثابتة لله جل وعلا، والمعتزلة يجعلون كلام الله مخلوقًا منفصلًا فيقولون: موسى سمع كلام الشجرة، والجهمية يجعلونه مخلوقًا منفصلًا مطلقًا، وأما الأشاعرة والماتريدية فهم يثبتون صفة الكلام؛ لأنها من الصفات السبع عند الأشاعرة ومن الصفات الثمان عند الماتريدية، ولكن يقولون: هو متكلم بكلام نفسي قديم.

وأهل السنة والجماعة يتميزون عن أولئك جميعًا بقولهم: إنه جل وعلا يتكلم بكلام يُسمع بحرف وصوت؛ إذ الذي يُسمع هو ما كان بحروف وما كان بصوت،

وكذلك أن كلام الله جل وعلا صفة له جل وعلا، قديمة النوع، حادثة الآحاد؛ فهو جل وعلا يتكلم إذا شاء، وكيف شاء، وليس كلامه صفة نفسية، بل هو يتكلم بصوت يسمعه من بَعُد، كما يسمعه من قرب يوم القيامة، وصوته ينفذ في ملائكته في السماء، وصوته سمعه موسى عليه السلام، ولهذا اعترف بعض حُذّاق الأشاعرة والمتكلمين وهو الآمدي في بعض كتبه بأن سماع موسى لكلام الله جل وعلا من الشجرة دليل لا يقبل التأويل، قال: «لأننا إذا قلنا: إن كلام الله جل وعلا قديم فهل سمع موسى الكلام القديم؟ وإذا كان كلام الله جل وعلا قديمًا؛ فقوله جل وعلا: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١] يكون فيه أن الله جل وعلا يخبر عن نفسه أنه سمع كلام المجادلة قبل أن توجد المجادلة، وقبل أن يوجد ذلك الكلام؟ يقول: إنّه لا مفرَّ، فإما إثبات صفة الكلام المسموع؛ حادث الآحاد، وإما أن يعتقد في الله الاعتقادات الباطلة. يعني من الإخبار بخلاف الواقع كما عليه مذاهب الفلاسفة.

المقصود: أنه اعترف بأنه لا مَحِيد من إثبات صفة الكلام، فأهل السنة والجماعة يتميّزون بأنهم يثبتون صفة الكلام، وأن كلامه جل وعلا بصوت يُسمع، وأنه بحرف إذْ إنما يفهم العباد الحروف، وأنه ليس معنًى نفسيًّا قائمًا به جل وعلا، يُلقى في رُوع جبريل فيأخذه جبريل ويعبر عنه؛ ولهذا يقول أولئك المبتدعة: إن كلام الله جل وعلا معنى واحد قائم بالنفس؛ إن عُبِّر عنه بالعربية كان قرآنًا، أو عبر عنه بالسريانية كان إنجيلًا، أو عبر عنه بالعبرانية كان توراة، فيجعلون كلام الله جل وعلا شيئًا واحدًا، ويجعلون عين الأمر، هو عين النهي، وهو عين الخبر، وهو عين بقية أنواع الكلام، وهذا والعياذ بالله فيه تنقص لله جل وعلا.

والاعتقاد الحق ظاهر لما دلّ عليه الكتاب والسنة من مثل قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ [النساء:١٦٤] ثم أكّد بالمصدر الذي ينفي احتمال معنى آخر غير التكليم فقال:

﴿تَكۡلِيمٗا﴾ ؛ يعني إذا كان (كلَّمَ) لها معنى آخر غير الكلام الذي يسمع؛ فإنه رفع ذلك التوهم بقوله ﴿تَكۡلِيمٗا﴾ ، ولهذا خُصَّ موسى عليه والسلام بهذه الخاصية؛ وهو أنه مُكَلَّم، وأنه كليم الرحمن أعني من كلَّمه الله جل وعلا بلا واسطة.



فصل القرآن كلام الله

٢٦-ومِنْ كلامِ الله سبْحانه القرآنُ العظيمُ[1]،وهو كتابُ الله المبينُ، وحَبْلُه المتينُ، وصراطُهُ المستقيمُ، وتَنْزِيلُ رَبِّ العالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ المرسَلِينَ بلسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وإِلَيْهِ يَعُودُ.

٢٧-وهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَـاتٌ، وآياتٌ بَيِّنَاتٌ، وحُرُوفٌ وكَلِمـاتٌ، مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عشْرُ حسَناتٍ. لَهُ أَوَّلٌ وآخِرٌ، وأَجْزاءٌ وأَبْعاضٌ، مَتْلُوٌّ بالألسِنَةِ محْفوظٌ في

---

(١) قال العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله في تعليقه على العقيدة الطحاوية: القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه؛ فلا يقال: القرآن اللفظ دون المعنى، كمـا هو قول أهل الاعتزال، ولا المعنى دون اللفظ، كمـا هو قول الكلابية الضلال، ومن تابعهم على باطلهم من أهل الكلام الباطل المذموم، فأهل السنة والجمـاعة يقولون ويعتقدون أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، ألفاظه ومعانيه عين كلام الله، سمعه جبريل من الله، والنبي سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من النبي فهو المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة .

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله :

وكذلك القرآن عين كلامه الـ ـمسموع منه حقيقة ببيان

هو قول ربي كله لا بعضه لفظاً ومعنى ماهما خلقان

تنزيل رب العالمين ووحيه اللفظ والمعنى بلا روغان

الصُّدورِ، مَسْمُوع بالآذانِ، مَكْتوبٌ في المصاحِفِ، فِيهِ مُحْكَمٌ ومُتَشابِهٌ، ونَاسِخٌ ومنْسُوخٌ، وخاصٌّ وعامٌّ، وأمْرٌ ونَهْيٌ ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت:٤٢]، وقَوْله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء:٨٨].

الشرح

القول فِي القرآن:

القرآن الكريم من كلام الله تعالى، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فهو كلام الله حروفه ومعانيه، دليل أنه من كلام الله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]. يعني القرآن.

ودليل أنه منزل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١].

ودليل أنه غير مخلوق قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

فجعل الأمر غير الخلق، والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]. ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق:٥]. ولأن كلام الله صفة من صفاته، وصفاته غير مخلوقة. ودليل أنه منه بدأ: أن الله أضافه إليه، ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئًا.

ودليل أنه إليه يعود أنه ورد في بعض الآثار: «أنه يرفع من المصاحف والصدور في آخر الزمـان».

ﮧﮧ ◊ ﮦﮦ

٢٨- وهَذَا هُوَ الكتابُ العربيُّ الّذي قال فِيهِ الذين كَفَرُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [سبأ:٣١].

وقال بعضُهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر:٢٥].

فَقال الله سُبْحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر:٢٦].

وقَالَ بَعْضُهم: هو شِعْرٌ؛ فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس:٦٩]، فَلَمَّا نَفَى اللهُ عنْهُ أَنَّهُ شِعْرٌ وأثبتَهُ قُرْآنًا لم يُبقِ شُبْهةً لِذِي لُبٍّ في أنَّ القرآنَ هو هذا الكتابُ العرَبيُّ الَّذي هُوَ حُرُوفٌ، وكلِماتٌ، وآياتٌ؛ لأنَّ ما ليس كذلِك لا يقُولُ أحَدٌ: إنَّه شعرٌ.

٢٩-وقالَ عزّ وجلّ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣]، ولا يجوزُ أنْ يَتحدَّاهُمْ بِالإتْيانِ بِمِثْلِ ما لا يُدْرَى ما هُوَ ولا يُعْقَلُ.

٣٠- وقالَ تَعالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ [يونس:١٥]، فأَثْبَتَ أَنَّ القُرْآنَ هُوَ الآياتُ الَّتي تُتْلَى عَلَيْهِمْ.

٣١-وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة:٧٧- ٧٩]، بَعْدَ أنْ أَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ.

٣٢-وقال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾ [مريم:١]، ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾ [الشورى:١-٢]، وافْتَتَحَ تِسْعًا وعِشْرينَ سُورةً بالحروفِ المقطَّعَةِ.

٣٣-وقال النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ؛ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ،

وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيه؛ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ»[١] حديثٌ صحيحٌ.

٣٤-وقال عليْه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «اقْرَءوا القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلاَ يَتَأَجَّلُونَهُ»[٢].

٣٥- وقَالَ أَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ رضي الله عنهما: إِعْرابُ القُرآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بعْضِ حُرُوفِهِ.

٣٦- وقالَ عليٌّ رضي الله عنه: مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهُ.

٣٧- واتَّفَقَ المسلمون على عَدِّ سُوَرِ القرآنِ وآياتِهِ وكلِماتِهِ وحُروفِهِ.

٣٨- ولا خِلافَ بيْن المسلمين في أنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ القُرآنِ سُورَةً أو آيَةً أو كلِمَةً أو حرْفًا مُتَّفَقٌ عليْه أنَّه كافِرٌ، وفي هذا حُجَّةٌ قاطِعَةٌ على أنَّهُ حُروفٌ.

الشرح

القرآن حروف وكلمات:

القرآن حروف وكلمات، وقد ذكر المؤلف – رحمه الله- لذلك أدلة ثمانية:

١- أن الكفار قالوا إنه شعر؛ ولا يمكن أن يوصف بذلك إلا ما هو حروف وكلمات.

٢- أن الله تحدى المكذبين به أن يأتوا بمثله؛ ولو لم يكن حروفًا وكلمات لكان التحدي غير مقبول؛ إذ لا يمكن التحدي إلا بشيء معلوم يدرى ما هو.

٣- أن الله أخبر بأن القرآن يتلى عليهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾ [يونس:١٥]. ولا يتلى إلا ما هو حروف وكلمات.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٢٨رقم ٢٢٩٦) بنحوه.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٨٣٠)، وصححه العلامة الألباني في سنن أبي داود، والصحيحة (٢٥٩).

٤- أن الله أخبر بأنه محفوظ في صدور أهل العلم ومكتوب في اللوح المحفوظ.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩]. ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]. ولا يُحفظ ويُكتب إلا ما هو حروف وكلمات.

٥- قول النبي ﷺ: «**من قرأ القرآن فأعربه؛ فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه؛ فله بكل حرف حسنة**». صححه المؤلف ولم يعزه ولم أجد من خرجه.

٦- قول أبي بكر وعمر: «إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه».

٧- قول علي رضي الله عنه: «من كفر بحرف منه؛ فقد كفر به كله».

٨- إجماع المسلمين- كما نقله المؤلف- على أن من جحد منه سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه فهو كافر.

وعدد سور القرآن (١١٤) منها (٢٩) افتتحت بالحروف المقطعة.

* أوصاف القرآن:

وصف الله القرآن الكريم بأوصاف عظيمة كثيرة، ذكر المؤلف منها ما يلي:

١- أنه كتاب الله المبين، أي: المفصح عما تضمنه من أحكام وأخبار.

٢- أنه حبل الله المتين، أي: العهد القوي الذي جعله الله سببًا للوصول إليه والفوز بكرامته.

٣- أنه سور مُحكمات، أي: مفصل السور كل سورة منفردة عن الأخرى، والمحكمات: المتقنات المحفوظات من الخلل والتناقض.

٤- أنه آيات بينات، أي: علامات ظاهرات على توحيد الله وكمال صفاته وحسن تشريعاته.

٥- أن فيه محكمًا ومُتَشابهًا، فالمحكم: ما كان معناه واضحًا، والمتشابه: ما كان معناه خفيًّا ولا يعارض هذا ما سبق برقم (٣)؛ لأن الإحكام هناك بمعنى الإتقان

والحفظ من الخلل والتناقض، وهنا بمعنى وضوح المعنى، وإذا رددنا المتشابه هنا إلى المحكم صار الجميع محكمًا.

٦- أنه حق لا يمكن أن يأتيه الباطل من أي جهة: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾ [فصلت:٤٢].

٧- أنه بريء مما وصفه المكذبون **به من قولهم** إنه شعر: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (٦٩)﴾ [يس:٦٩].

وقول بعضهم: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤)﴾ [المدثر:٢٤].

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)﴾ [المدثر:٢٥].

فقال الله متوعدًا هذا القائل: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦)﴾ [المدثر:٢٦].

٨- أنه معجز لايمكن لأحد **أن يأتي** بمثله وإن عاونه غيره: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾ [الإسراء:٨٨].

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

الكلام على أن القرآن كلام الله أخصّ من الكلام على صفة الكلام، فإنه كلام الله جل وعلا وأنّه قديم عند بعض الطوائف، **وهذا** أعم من أن يُقال: إن القرآن النَّازل هذا هو كلام الله جل وعلا، ولهذا فإننا **نقول: إن** أهل السنة والجماعة اعتنوا بإثبات صفة الكلام لله جل وعلا في كلامهم **على أنَّ القرآن** كلام الله جل وعلا، إذْ إذا ثبت هذا الأخصّ الذي نُوزع فيه؛ فإنَّ **إثبات صفة** الكلام وأن كلامه جل وعلا بحروف وأصوات وأنه كلمات وحروف **وجمل، يَثْبُتُ** بظهور؛ **لأنه إذا ثبت الأخص ثبت الأعم في هذا الباب من باب الأوضح والأظهر.**

فكلام الله جل وعلا الذي ألقاه إلى جبريل فسمعه جبريل منه، وأمره بتبليغه إلى

النبي ﷺ، وسَمَّى ذلك الكلام قرآنًا، فنزل به جبريل على النبي ﷺ، هذا هو القرآن، فالقرآن كلام الله؛ والقرآن بعض كلام الله جل وعلا؛ **فكلام الله جل وعلا منه ما هو قرآن ومنه ما هو ليس بقرآن،** فالله جل وعلا من كلامه الكلمات الكونية التي قال الله جل وعلا فيها: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف:١٠٩] ومعنى الكلمات هنا الكلمات الكونية.

والقرآن كلام الله جل وعلا الذي ألقاه إلى جبريل فبلَّغه جبريل إلى النبي ﷺ كما سمعه، فإذن القرآن كلماته وآياته وحروفه وسورُه هو مسموع لجبريل، من تَكَلُّمِ الله جل وعلا به بحرف وصوت، فهو حروف كما قال جل وعلا: ﴿الٓمٓ﴾، ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾ [الشورى:١-٢] إلى آخر الآيات التي فيها الأحرف المقطعة، وهذا يدل على أن جبريل سمعه على هذا النحو سمعه حروفًا، وإذا كان سمعه حروفًا فثبت أن الله جل وعلا تكلّم بحروف، إذْ جبريل عليه السلام -يُقال-: إما أن يكون سمع كلامًا عامًّا ففصله بحروف، وهذا فيه نفي لصفة الكلام على النحو الذي أسلفنا إثباته، وإما أن يُقال: إن جبريل عليه السلام سمعه هكذا على هذا النحو بالحروف، فيثبت ما يراد إثباته من أن الله جل وعلا يتكلم بكلام هو جمل وكلمات وحروف ويُسمع منه بصوت.

فإذن القرآن العظيم له مراتب:

* **المرتبة الأولى:** مرتبة الكتابة، وهذا ظاهر في قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة:٧٧-٧٨]، فالله جل وعلا قبل أن يتكلم بهذا القرآن في الأزل -يعني حين خلق اللوح المحفوظ وأودعه ما سيكون- جعل فيه القرآن مكتوبًا، وهذه مرتبة الكتابة وهي قبل مرتبة التكلم به، وهو جل وعلا جعله مكتوبًا في اللوح المحفوظ، وذلك لسَعة علمه جل وعلا، فهو يعلم ما سيوحيه إلى عبده محمد عليه

الصلاة والسلام، فحفظه مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

* ثم بعد أن بعث نبيه عليه الصلاة والسلام جعل القرآن جميعًا في مرحلة الكتابة أو في رتبة الكتابة؛ حيث جعله جل وعلا في بيت العزة في سماء الدنيا كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن الله أنزل القرآن وجعله في بيت العزة في السماء الدنيا، قال ابن عباس: ثم أنزل منجمًا على ثلاث وعشرين سنة.

* **المرتبة الثالثة: مرتبة الكلام والتكلم به**، وهذه هي التي يُخص بها وصف القرآن؛ لأن الله جل وعلا تكلّم بهذا القرآن وسمعه منه جبريل فبلغه للنبي ﷺ، فتكلُّم الله جل وعلا بهذا القرآن إنما كان بعد بعث النبي ﷺ، قال جل وعلا: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١] فتكلم الله جل وعلا بقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إنما كان بعد أن كانت المجادلة وبعد أن حصل من المرأة وزوجها ما حصل، فقوله جل وعلا: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ هذا حادث، وهذا حادث بمعنى جديد ليس بقديم، وهذا كما وصف الله جل وعلا كتابه بقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢] ﴿مُّحْدَثٍ﴾ أي: محدثٍ تنزيله، أي: محدث التكلُّم به، فليس تكلم الله جل وعلا بالقرآن قديمًا كما يزعمه أهل البدع، بل إنما تكلّم الله جل وعلا به بمشيئته وإرادته واختياره، حسَب ما يُوافق حكمته جل وعلا فيسمعه جبريل فيبلغه إلى النبي ﷺ، وهذا فيه نفي أقوال:

◆ **الأول**: أنه معنًى نفسي.

◆ **الثاني**: أنه مخلوق منفصل كما تزعمه المعتزلة، وحصل في ذلك الافتتان العظيم للإمام أحمد ولأهل السنة في فتنة خلق القرآن.

◆ **والثالث**: من يزعم أن جبريل أخذ القرآن في مرتبة الكتابة من اللوح المحفوظ، وأنزله على النبي ﷺ، كما زعمه السيوطي -وجمع أيضًا ممن قبله- في كتابه «الإتقان»

حيث زعم أن جبريل عليه السلام أخذ القرآن في مرتبة الكتابة أخذه من اللوح المحفوظ فأنزله على النبي ﷺ، يريدون بذلك نفي أن يكون الله جل وعلا تكلم بالقرآن، أو أن جبريل سمع منه هذه الآيات وهذه الأحرف.

إذن فالأدلة التي أقامها المؤلف رحمه الله تعالى ظاهرةٌ في أن القرآن آيات وحروف وكلمات وسور، والله جل وعلا تكلم به على هذا النحو والنبي ﷺ قال: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [يونس:١٥] ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ﴾ وهذا يدلُّ على أنه عليه الصلاة والسلام إنما هو مبلِّغ، ولهذا قال جل وعلا: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ في آيتين في سورة التكوير وفي سورة الحاقة، وهذا ليس معناه أنه كلام الرسول، ففي سورة التكوير -قال جل وعلا-: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير:١٩-٢٠].

وفي سورة الحاقة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة:٤٠-٤١] ففي سورة الحاقة، الرسول الذي نُسب إليه القول أعني القرآن نبينا محمد ﷺ، وفي سورة التكوير الرسول الكريم الذي نُسب إليه هذا القرآن هو جبريل عليه والسلام؛ فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني جبريل عليه السلام، فهو قوله لكن الكلام كلام الباري جل وعلا، والقائل له مُبلغٌ عمن تكلم به مبلغٌ عمن تكلم به إلى النبي ﷺ هو جبريل، فإذن نسبة القرآن إلى جبريل وأنه قوله نسبة تبليغ؛ فإنّك إذا سمعت منّي كلامـًا أنقله عن أحد أهل العلم، فإنه لا يكون قولي، ولكن الكلام كلام من أنقل كلامه.

ففرق بين القول وبين الكلام، وهذا مـا لم يتفطن له كثير ممن زعم أن في هاتين الآيتين نسبة القرآن إلى النبي ﷺ أو إلى جبريل، بمعنى الله جل وعلا لم يتكلم به وأنه ليس قول الله جل وعلا، كذلك النبي ﷺ هو الذي بلَّغ القرآن، والقرآن لَّما تكلم به النبي عليه الصلاة والسلام صار قولًا له؛ لكنه يبلغه عن الله جل وعلا، فهو يبلغ

كلامًـا، وهذا الكلام هو كلام الله جل وعلا، **وهذا به يظهر بعض مـا يتعلق به الكلام عن مسألة كلام الله جل وعلا**، وهي من أوائل المسائل التي اختلف فيها في صفات الله جل وعلا، ولذلك سمّى بعض الناس مـا يتعلق بالكلام عن العقيدة سمـاه علم الكلام؛ لأنه من أوائل المسائل الحادثة التي تكلم الناس فيها واختلفوا فيها.

فتلخص من ذلك أن معتقد أهل السنة والجمـاعة أن الله جل وعلا يتكلم، وأن كلامه قديم النوع حادث الآحاد، وأنه جل وعلا يتكلم بصوت يُسمع وأن كلامه حروف سمعها منه موسى عليه السلام ويسمعها منه جبريل عليه السلام والملائكة ويسمعها الناس يوم القيامة، وأن كلامه جل وعلا ليس ككلام غيره؛ بل ينفذ في الخلائق يوم القيامة يسمعه من بعُد كمـا يسمعه من قرب، وأن كلامه لا يأتي من جهة، وإنمـا هو يأتي من أمـام ومن خلف وعن يمين وعن شمـال دون أن يكون من جهة واحدة، وهذا من عظيم اتصاف الله جل وعلا بهذا الوصف.

وأن القرآن هو كلام الله منزَّل غير مخلوق، إذا حُفِظَ في الصدور فهو كلام الله، وإذا كُتِبَ في الأوراق فهو كلام الله، وإذا تُلي على الألسن فهو كلام الله جل وعلا، فإذا تُلي نقول الكلام كلام الباري، والصوت صوت القارئ، فهذه مراتب مختلفة وكلها لا تَخرج عن كون هذا المتكلم به أو المكتوب أو المحفوظ أنه جميعًا كلام الله جل وعلا وتعالى وتقدس وتعاظم.

❀❀◊❀❀

فصل رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

٣٩-والمؤمنون يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الآخرةِ بأبْصارِهِم[١]،ويَزُورُونَهُ، ويُكَلِّمُهُم ويُكَلِّمُونَهُ[٢]،قال اللهُ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

---

(١) **قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في تعليقه على العقيدة الطحاوية:** اعلم أن الأحاديث الواردة في إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة كثيرة جداً حتى بلغت حد التواتر، كما جزم به جمع من الأئمة، منهم الشارح، وقد خرج بعضها ثم قال:

«وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً» ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها، ولولا أني التزمت الاختصار لسقت ما في الباب من الأحاديث ثم قال:

«ليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة؟ ومن قال: يُرى لا في جهة. فليراجع عقله!! فإما أن يكون مكابراً لعقله أو في عقله شيء، وإلا فإذا قال: يُرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة» .

قلت: وأما رؤيته تعالى في الدنيا، فقد أخبر رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح أن أحداً منا لا يراه حتى يموت. رواه مسلم. وأما هو نفسه عليه الصلاة والسلام، فلم يرد في إثباتها له ما تقوم به الحجة، بل قد صح عنه الإشارة إلى نفيها حين سئل عنها بقوله :

«نورٌ، أَنّى أراه» ومع ذلك جزمت السيدة عائشة بنفيها كما في الصحيحين، وهذا هو الأصل فينبغي التمسك به .

(٢) **قال العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله في تعليقه على العقيدة الطحاوية** : لا شك أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة من فوقهم كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، فهم يرون ربهم بأبصارهم رؤية حقيقية كما يرون القمر والشمس صحواً ليس دونهما سحاب؛ وهذا متواتر عن النبي ﷺ لم ينكره سوى المعتزلة ومن تابعهم على الضلال، قال في النونية:

ويرونه سبحانه من فوقهم نظر العيان كما يرى القمران
هذا تواتر عن رسول الله لم ينكره إلا فاسد الإيمان

وأما في الدنيا فإنه سبحانه وتعالى لا يراه أحد من عباده؛ ولما سئل النبي عليه السلام: هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أَنَّى أراه» أي حالت بيني وبين رؤيته تعالى الأنوار. وقالت عائشة: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب .

٤٠- وقالَ تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين:١٥]، فلمَّا حَجَبَ أولئك في حالِ السُّخْطِ دَلَّ على أنَّ المؤمنين يَرَوْنَهُ في حالِ الرِّضَا؛ وإلا لم يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ.

٤١-وقال النبيﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[1]. حديث صحيح متفق عليه.

٤٢-وهذا تشبيهٌ للرؤيةِ بالرؤيةِ لا للمرئيِّ بالمرئيِّ، فإنّ الله تعالى لا شبيهَ له ولا نظيرَ.

الشرح

رؤية الله في الاخرة:

رؤية الله في الدنيا مستحيلة؛ لقوله تعالى لموسى وقد طلب رؤية الله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣].

ورؤية الله في الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين:١٥]. فلما حجب الفجار عن رؤيته دل على أن الأبرار يرونه؛ وإلا لم يكن بينهما فرق.

وقال النبي ﷺ : «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تُضامون في رؤيته**». متفق عليه؛ وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي؛ لأن الله ليس كمثله شيء ولا شبيه له ولا نظير.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤، ٤٨٥١، ٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣).

وأجمع السلف على رؤية المؤمنين لله تعالى دون الكفار بدليل الآية الثانية يرون الله تعالى في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى؛ وهي رؤية حقيقية تليق بالله.

وفسَّرها أهل التعطيل بأن المراد بها رؤية ثواب الله، أو أن المراد بها رؤية العلم واليقين، ونرد عليهم باعتبار التأويل الأول بما سبق في القاعدة الرابعة، وباعتبار التأويل الثاني بذلك، وبوجه رابع: أن العلم واليقين حاصل للأبرار في الدنيا، وسيحصل للفجار في الآخرة.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

أيضًا من عقائد أهل السنة والجماعة التي تميّزوا بها عن طوائف المبتدعة أنهم يعتقدون أن الله جل وعلا يُرى يوم القيامة، وأنه لا يمكن لأحد أن يراه في الدنيا كما قال جل وعلا لموسى حين سأله الرؤية قال: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، فالرؤية في الدنيا ممتنعة، وأما في الآخرة فهي ممكنة؛ بل ستقع كما أخبر الله جل وعلا بقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة:٢٢:٢٣]، ويرى المؤمنون ربهم جل وعلا في عَرَصات القيامة وكذلك في الجنة، فيتمتّعون بذلك النظر إلى وجه الله الكريم، فلم يُعطَوا نعيمًا أعظم من رؤية الرب جل وعلا فهو أعظم النعيم وأجزل النعيم.

ولهذا سماه الله جل وعلا زيادة في قوله: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس:٢٦]، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى**»[(١)] رواه مسلم وغيره.

خالف في ذلك المبتدعة فقال طائفة منهم: إن الرؤية غير ممكنة أصلًا، والنظر غير

---

(١) رواه مسلم (١٨١) بنحوه.

واقع أصلًا لا في الدنيا ولا في الآخرة. هذا كلام الجهمية والمعتزلة ومن شابههم، ويؤولون قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة:٢٢:٢٣] بأن ﴿نَاضِرَةٌ﴾ هنا بمعنى منتظرة، فيقولون هي كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا﴾ يعني ينتظرون، فالنظر في هذه الآية بمعنى الانتظار ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ يعني منتظرة لرحمة الله، ومنتظرة لأمر الله جل وعلا.

والجواب عن احتجاج المعتزلة بهذا والخوارج، ويحتج بهذا أيضًا طوائف الخوارج الموجودة اليوم من الإباضية وغيرهم وكذلك أهل الاعتزال، أنه لغةً غير مستقيم، فضلًا عن أنه ثبت النظر ورؤية المؤمنين لربهم جل وعلا في غير ما دليل، لكنه من حيث اللغة غلط، وذلك لأن الله جل وعلا قال: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ ولفظ النظر صحيح أنه يأتي بمعنى الانتظار؛ ولكنه إذا أتى بمعنى الانتظار فإنه لا يُعَدَّى بـ(إِلَى) لأنه يكون لازمًا، كما قال جل وعلا: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا﴾ فلما قال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا﴾ ولم يعدها بـ(إلى) علمنا أن النظر هنا بمعنى الانتظار ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا﴾ ﴿يَنظُرُونَ﴾ بمعنى الانتظار، أما إذا عُدي النظر بـ(إلى) فهو نظر العين لا غير، ولا تحتمل اللغة غير هذا كما قال جل وعلا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ .

الدليل الثاني: أنه جل وعلا قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ فمن الناظرة إلى ربها؟ هي الوجوه، فهذا دليل على أن النظر هو نظر العين؛ لأنه جل وعلا جعل الناظر إلى الله جل وعلا هي الوجوه؛ لأنها محل الإبصار وهذا ينفي الانتظار.

وخالف أيضًا في مسألة رؤية الله جل وعلا الأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم، فأثبتوا رؤية المؤمنين لربهم جل وعلا يوم القيامة، وردّوا على المعتزلة في أنهم ينفون الرؤية، فالأشاعرة والماتريدية يثبتون الرؤية من أن الله جل وعلا يُرى يوم القيامة، لكنهم يقولون: نظر لا إلى جهة، ولهذا قد تجد من الأشاعرة من يُثبت الرؤية بل

هم يُثبتونها، لكن تنتبه إلى أنهم يختلفون في إثباتها عن أهل السنة والجماعة، **فأهل السنة والجماعة يجعلون الرؤية بالعينين** إلى جهة العلو حيث الله جل وعلا، أما أولئك فيجعلونها رؤية بقُوى يُحدثها الله جل وعلا في الأجسام يوم القيامة لا إلى جهة، وهذا غير مُتصور؛ ولهذا أهل الاعتزال ردوا على الأشاعرة وقالوا: أنتم خالفتم المعقول، في كلام ومناقشات ليس في هذه الدروس المختصرة محلها.

وكان المعتزلة في تأصيل المسألة أحذق من الأشاعرة بتأصيل المسألة عقليًّا، لكن الأشاعرة ضعُفوا فأثبتوا ما دل عليه الدليل، لكنهم خالفوا المعقول، وخالفوا كل ما اشتمل عليه الدليل.

وأما أهل الاعتزال فنظروا بالنظر العقلي فنفَوا، وكان الصواب أن يُثبتوا الجميع، فتثبت الرؤية، والرؤية إلى جهة بحاسة الإبصار، يقول أولئك: إن الله جل وعلا يقول لموسى: إنك ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣].

قال جل وعلا: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣] يقول أولئك: إنَّ ﴿لَن﴾ هنا تنفي نفيًا مؤبدًا، وهذا النفي المؤبد الذي حلت عليه ﴿لَن﴾ يشمل الحياة الدنيا والآخرة؛ فلا يمكن الرؤية لا في الدنيا ولا في الآخرة بدليل قول الله تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣] ولم يُخصص الحياة الدنيا من الآخرة، والجواب أن هذا غلط في باب النحو، وغلط على العربية، ولهذا قال ابن مالك رحمه الله تعالى في الكافية الشافية وهي غير الألفية ومتنها أكبر من الألفية:

ومَنْ رَأَى النفيَ بِلَنْ مُؤبَّدا فقولَه أُردُد وسِواهُ فاعْبُدا

(ومنْ رَأَى النفيَ بِلَنْ) وهم المعتزلة، (فقولَه أُردُد) لأنه لا يُعرف عن العرب ذلك، (وسِواهُ فاعْبُدا) لأن (لن) لا تدل على النفي المؤبد، ودليل ذلك من القرآن أن الله جل وعلا أخبر عن مريم أنها قالت: ﴿فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيًّا ٢٦﴾ [مريم:٢٦]، فلو كانت

(لَنْ) تدل على النفي المؤبد؛ لم يكن التقييد بقولها (الْيَوْمَ) له معنى أليس كذلك؟ فقوله جل وعلا: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم:٢٦] ظاهر في الدليل على أن (لَنْ) لا تقتضي التأبيد، كما قال ابن مالك رحمه الله مبينا (لَنْ):

ومَنْ رَأَى النفيَ بِلَنْ مُؤبَّدا فقولَه أُردُد وسِواهُ فاعْبُدا

على كل حال هذه المباحث التي نتعرض لها مختصرة، والحديث عن هذه المسائل ينبغي فهمه، لكن نذكر ما يناسب الوقت والزمان، لكن من رام التفصيل فليرجع إلى الكتب التي فُصلت فيها هذه المسائل، فنحن نعطيكم إشارات فيها كفاية لمن تأملها وفهمها جيدًا، ولكن من رام المزيد فليطلب ذلك في الكتب المفصلة.

✽✽✽

فصل القضاء والقدر

٤٣-ومِنْ صِفاتِ الله تعالى أَنَّهُ الفَعَّالُ لِمَا يُريدُ لَا يَكُونُ شَيءٌ إِلَّا بِإرادَتِهِ وَلَا يَخْرُجُ شَيءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ وَلَيْسَ فِي العالَمِ شيءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ وَلَا يَصْدُرُ إِلا عَنْ تدبيرِهِ، ولا مَحِيدَ عَنِ القَدَر المقدورِ، ولا يتجاوَزُ ما خُطَّ في اللَّوحِ المسْطورِ أَرَاد ما العالَمُ فاعِلوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُم لَمَا خالَفوهُ، وَلَوْ شاءَ أَنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لأَطاعُوهُ، خَلَقَ الخَلْقَ وأفعالَهم، وقَدَّرَ أرْزَاقَهُم وآجالَهُم، يَهْدِي مَنْ يَشاءُ بِحِكْمَتِه، قال اللهُ تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣]، وقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان:٢]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥].

٤٤-ورَوَى ابنُ عُمَرَ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلامُ قال للنبي ﷺ: ما الإيمانُ؟ قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» فقال جبريل: صَدَقْتَ[1]. رواه مسلم.

٤٥-وقال النبيُّ ﷺ: «آمَنْتُ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، وأصل الحديث في الصحيحين، في البخاري (٥٠، ٤٧٧٧، ومواضع)، ومسلم (٩، ١٠)، وغيره من أهل السنن.

(٢) انظر كنز العمال للمتقي الهندي (١٦/ ٣٣ رقم ٤٣٧٦٣)، وانظر تاريخ دمشق (٥/ ٢٥١، ٢٣/ ٢٠٨)، ومختصر تاريخ دمشق (١/ ٣٩٦).

٤٦-ومِنْ دُعَاءِ النَّبيِّ ﷺ الَّذي علَّمَهُ الحسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ في قُنُوتِ الوِتْرِ «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ»(١).

الشرح

القدر:

من صفات الله تعالى: أنه الفعال لما يريد كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود:١٠٧].

فلا يخرج شيء عن إرادته وسلطانه، ولا يصدر شيء إلا بتقديره وتدبيره، بيده ملكوت السموات والأرض يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يُسئل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه، وهم يُسئلون لأنهم مربوبون محكومون.

والإيمان بالقدر واجب، وهو أحد أركان الإيمان الستة؛ لقول النبي ﷺ : «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**». رواه مسلم وغيره.

قال النبي ﷺ : «**آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره**» فالخير والشر باعتبار العاقبة، والحلاوة والمارة باعتباره وقت إصابته، وخير القدر ما كان نافعًا، وشره ما كان ضارًّا أو مؤذيًا.

والخير والشر هو بالنسبة للمقدور وعاقبته؛ فإن منه ما يكون خيرًا كالطاعات والصحة والغنى، ومنه ما يكون شرًّا كالمعاصي والمرض والفقر، أما بالنسبة لفعل الله

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٤٦٤)، والنسائي (١٧٤٥، ١٧٤٦)، وأبو داود (١٤٢٥)، وابن ماجه (١١٧٨)، وصححه العلامة الألباني في سنن أبي داود (٢/ ٦٣)، وسنن النسائي (٣/ ٢٤٨)، والإرواء (٤٢٩).

فلا يقال: إنه شر؛ لقول النبي ﷺ في دعاء القنوت الذي علمه الحسن بن علي: «**وقني شر ما قضيت**». فأضاف الشر إلى ما قضاه لا إلى قضائه.

والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله عالم كل ما يكون جملة وتفصيلًا بعلم سابق؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج:٧٠].

الثاني: أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء؛ لقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد:٢٢]. أي: نخلق الخليقة.

ولقوله ﷺ: «**إن الله قدَّر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين سنة**»(١)

الثالث: أنه لا يكون شيء في السموات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه وهم يسألون، وما وقع من ذلك فإنه مطابق لعلمه السابق ولما كتبه في اللوح المحفوظ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩]. ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥].

فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته.

الرابع: أن كل شيء في السموات والأرض مخلوق لله تعالى؛ لا خالق غيره ولا رب سواه؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان:٢].

و قال على لسان إبراهيم: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصفات: ٩٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣)، وأبو داود (٤٧٠٠).

قال الشيخ صالح-حفظه الله-:

الركن السادس من أركان الإيمـان هو الإيمـان بالقدر خيره وشره من الله تعالى.

والقضاء والقدر لفظان يكثر ورودهما فهل بينهمـا فرق؟

* من أهل العلم من قال: إنه لا فرق بين القضاء والقدر؛ فالقضاء هو القدر، والقدر هو القضاء.

* وفرّق طائفة من أهل العلم بين القضاء والقدر؛ بأنَّ القدر هو مـا يسبق وقوع المقدَّر، فإذا وقع المقدَّر وانقضى سُمِّي قضاءً، فمـا كان قبل وقوع المقدر مشاهدًا معلومًـا به يسمى قدرًا، وإذا وقع ومضى سُمِّي قضاءً مع كونه يسمى قدَرًا باعتبار مـا قضي، وهذا التفريق حسن وظاهر، وذلك لأن مـادة القضاء تختلف عن مـادة القدر في اللغة، وقوله عليه الصلاة والسلام «**وقني شر مـا قضيت**» هذا باعتبار أن مـا قدر الله جل وعلا هو قضاء؛ يعني أنه كائن لا محالة، فيسأل الله جل وعلا أن يدفع عنه شر مـا قدّر ومـا قضى.

وكثير من أهل العلم ومنهم ابن القيم رحمه الله يقولون: لا فرق بين القضاء والقدر، فالقضاء هو القدر والقدر هو القضاء فيتواردان.

الإيمـان بالقدر على مرتبتين؛ عند أهل السنة والجمـاعة بالقدر:

* **المرتبة الأولى:** مـا يسبق حصول المقدر؛ مـا يسبقه في الزمـان؛ يعني مـا كان في المـاضي.

* **المرتبة الثانية:** هي مـا يكون حال وقوع المقدر.

أمّـا المرتبة الأولى، فتضم مرتبتين أيضًا:

الأولى هي العلم، والثانية هي الكتابة. وهذه سابقة، والله جل وعلا علم مـا الخلق

عاملون إلى يوم القيامة، وكتب جل وعلا -وهذه المرتبة الثانية- مقادير الخلائق إلى قيام الساعة قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء.

فإذًا السابق من مراتب القدر أننا نؤمن بأن الله جل وعلا عَلِمَ ما الخلق عاملون من خير وشر ومن أحوالهم وسكناتهم، وعلمه بهذا لم يزل أوَّلًا؛ لأنه جل وعلا عالم بهذا.

الثاني: أنه جل وعلا كتب هذا في اللوح المحفوظ؛ يعني ما الخلق عاملون، وما هم سائرون فيه ومن سيُهدى منهم، ومن سيضل، وكفر الكافر، ومعصية العاصي، وطاعة المطيع، وكل الحركات والسكنات هي مكتوبة في اللوح المحفوظ.

قال جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)﴾ [الحج:٧٠] فذكر في آية الحج هذه، المرتبتين: التي هي المرحلة الأولى، والمرتبة الأولى السابقة وهما العلم والكتابة، فنوقن بأن الله جل وعلا لم يحدث له علم بشيء، وليس الأمر أُنفًا؛ بل الله جل وعلا عالم بكل شيء قبل أن يكون أي شيء، وبعد ذلك كتب الله جل وعلا في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق إلى قيام الساعة، فلا يتعدون ما كتب لهم.

المرتبة الثانية: ما يواكِب المقدور، فأهل السنة والجماعة يجعلون المرتبة الثالثة من مراتب القدر وهي المرحلة الثانية، -المرحلة الأولى علم وكتابة- المرحلة الثانية ما يوافق المقدّر، وهي:

أولًا: أن الله جل وعلا مشيئته نافذة في عباده؛ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يحدث في ملكه وملكوته شيء إلا وقد أذن الله جل وعلا به كونًا، فطاعة المطيع أذن الله بها كونًا، ومعصية العاصي أذن الله بها كونًا، وكفر الكافر أذن الله جل وعلا بها كونًا، والمصائب التي تصيب العباد أذن الله بها كونًا ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]،

فما يشاء العبد داخل في مشيئة الله -ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن- كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان:٣٠]، فجعل مشيئة العبد تبعًا لمشيئة الله جل وعلا، وأن العبد إذا شاء شيئًا لا يكون استقلالًا؛ بل إذا شاء الله جل وعلا أن يكون كان.

الثانية في هذه المرحلة: وهي الرابعة من مراتب القدر، أنّ الله جل وعلا لا يكون في ملكه شيءٌ إلا وهو خالقه، فالله جل وعلا خالق كل شيء كما قال جل وعلا: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر:٦٢]، فالله جل وعلا خلق كل شيء، من ذلك طاعة المطيع ومعصية العاصي، ومن ذلك أفعال العباد، ومن ذلك المصائب، كل ما يحدث في ملكوت الله جل وعلا فهو خالق له.

هاتان المرتبتان أو المرحلة الثانية هذه تواقع المقدور، أعني إذا حصل المقدر وشاء الله وقوعه بما هو مكتوب في اللوح المحفوظ وسبق به علم الله جل وعلا، لا يكون إلا بمشيئة الله جل وعلا، وإذا كان؛ فالله جل وعلا هو الذي خلقه.

هذا الأمر بمراتبه الأربعة هو ما يعتقده أهل السنة والجماعة، **فعندهم القدر** هو: علم الله جل وعلا الأزلي بالأشياء قبل وقوعها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ثم مشيئته جل وعلا لها، وخلقه جل وعلا للأشياء جميعًا.

هذا تعريف القدر عند أهل السنة والجماعة، فشمل هذا التعريف أربع المراتب: العلم، والكتابة، والمشيئة العامة، والخلق لكل شيء، فالله جل وعلا خالق كل شيء.

وخالف بعض أهل البدع فقالوا: إن الله جل وعلا لا يخلق فعل العبد؛ بل العبد يخلق فعل نفسه، وهذا هو قول القدرية يعني نفاة القدر، والجواب أن الله جل وعلا قال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦] فخلق الله جل وعلا العباد

وأعمـالهم، فعمل العبد من الطاعات والمعاصي مخلوق لله جل وعلا، لكنه واقع لمشيئته، وهو الذي خلقه، وإذا كان معصية فإنمـا أذن بها كونًا، ولم يرضَ بها شرعا ودينًا؛ أرادها كونًا، ولم يردها شرعًا، فهو جل وعلا لا يكون في ملكه إلا مـا يريد، ولا يكون في ملكه شيء إلا وهو خالقه، وهو الذي أنشأه فصوره وبرأه وخلقه، ويجامع هذا في معصية العاصي وكفر الكافر وأنه لا يرضى بتعدي الشرع.

نفاة القدر قسمـان:

١. **قدرية غلاة**: وهؤلاء هم نفاة العلم، وهؤلاء فرقة انقرضت، وهي التي قال فيها أئمة السلف: «ناظروا القدرية بالعلم، فهم إن أقروا به خُصموا وإن أنكروه كفروا».

٢. **الطائفة الثانية**: القدرية الذين ينفون خلق الله جل وعلا لأفعال العباد، وينفون القدر ويقولون: **إن العبد** هو الذي يخلق فعل نفسه.

ويقابلهم الجبرية، والجبرية قسمـان:

١. **جبرية غلاة**: وهم الذين يقولون: إن المرء ليس له اختيار بتاتًا، بل هو كالريشة في مهب الريح، وهذا اعتقاد الجهمية، وطوائف من الصوفية الغلاة، وهم موجودون اليوم.

٢. **والطائفة الثانية الجبرية غير الغلاة**: وهؤلاء هم الأشاعرة، فإن الأشاعرة يقولون بالجبر لكنه جبر مؤدب؛ أعني جبرًا في الباطن دون الظاهر، يقولون: ظاهر المكلَّف أنه مختار، ولكنه في الباطن مجبر، ولهذا اخترعوا لفظ الكسب، فاخترع أبو الحسن الأشعري لفظ الكسب، وقال: إن الأعمـال كسب للعباد. فمـا تفسير الكسب؟ اختلف حُذَّاقهم في تفسير الكسب إلى نحو من اثني عشر قولًا، ولا يهمنا ذكر هذه الأقوال الآن، وكنه خلاصة الأمر أنه لا معنى للكسب عندهم، ولهذا قال

بعض أهل العلم:

ممـــا يقـــال ولا حقيقـــة تحتـــه[١] معقولـــة تـــدنو لـــذي الأفهـــام

الكســـب عنـــد الأشـــعري والحـــال عنـــد الهاشمـــي

وطفـــــرة النظـــــام

ثلاثة لا حقيقة لها، فالكسب إذا أردت أن تفسره أو تستفسر من الأشعري ما معناه لا يكاد يجتمع منهم جماعة على تفسيره بتفسير صحيح، ولهذا ذكر بعض شُرّاح «الجوهرة» -من متون الأشاعرة المعروفة- جوهرة التوحيد: أنه لا بد من الاعتراف بأننا جبرية، ولكننا جبرية في الباطن دون الظاهر، فلسنا كالجبرية الذين يقولون: الإنسان مجبر مطلقًا، لا، ولكنه مختار ظاهرًا، ولكنه مجبر ظاهرًا.

إذن كيف يفسرون الأفعال التي تحصل من العبد؟ قال: هو كالآلة التي يقوم الفعل بها فإمرار السكين، لا نقول: إن السكين هي التي أحدثت القطع، ولكن نقول حدث القطع عند الإمرار، كذلك العبد نقول: هو أُجبر على الصلاة؛ أُجبر على الصلاة لما قام، وأُجبر على المعصية لما أتاها، فيجعلونه كالآلة وكالمحل الذي يقوم بها إجبار الله جل وعلا، وينفذ فيه حكم الله جل وعلا، وهذا غاية في المخالفة لما دلت عليه النصوص.

فالأشاعرة طائفة من الجبرية، والمعتزلة طائفة من القدرية، والجبرية الغلاة والقدرية الغلاة قد مرَّ بك تفصيل الكلام على اعتقادهم، وبهذا يتبين لك خلاصة ما يتعلق القدر، وأن الله جل وعلا مقدر للأشياء قبل وقوعها، ومعنى ذلك أنه علم ذلك،

---

(١) قال شيخ الإسلام في رسالة له ضمن مجموع الفتاوي -أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل- ولهذا صار الناس يسخرون بمن قال: هذا ويقولون ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الأشعري.

وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأن قضاءه نافذ في عباده لا يخرجون عما قدَّر ولا عما قضى، وأن ذلك لا يعني إجبار العبد؛ بل هو يفعل باختياره ويجازى على أفعاله.



٤٧-ولاَ نجعلُ قضاءَ الله وقدَرَهُ حُجَّةً لنا في تَرْكِ أوامِرِهِ واجْتِناب نَوَاهِيه، بلْ يجبُ أنْ نُؤمِنَ ونَعْلَمَ أنَّ لله علينا الحُجَّةَ بإنزال الكتُب، وبَعْثَةِ الرُّسُلِ، قال اللهُ تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

الشرح

القدر ليس حجة للعاصي على فعل المعصية:

أفعال العباد كلها من طاعات ومعاص كلها مخلوقة لله كما سبق؛ ولكن ليس ذلك حجة للعاصي على فعل المعصية ؛ وذلك لأدلة كثيرة ، منها:

١- أن الله أضاف عمل العبد إليه وجعل كسبًا له، فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧]. ولو لم يكن له إختيار في فعل وقدرة علية ما نسب إليه.

٢- أن الله أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا ما يستطيع؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]. ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] . ولو كان مجبورًا على العمل ما كان مستطيعا على الفعل أو الكف؛ لأن المجبور لا يستطيع التخلص.

٣- أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري، وأن الأول يستطيع التخلص منه.

٤- أن العاصي قبل أن يقدم على المعصية لا يدري مـا قُدِّر له وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك، فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول، أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول: هذا مـا قُدِّر لي؟

٥- أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. ولو كان القدر حجة للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل.



٤٨-ونعلَمُ أنَّ اللهَ سبْحانه وتعالى مـا أَمَرَ ونَهى إلَّا المستطيعَ للفِعْلِ والتَّرْكِ، وأنَّه لمْ يُجْبِرْ أَحَدًا على معصيةٍ، ولا اضْطَرَّهُ إلى تَرْكِ طَاعَةٍ، وقال اللهُ تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر:١٧].

٤٩-فَدَلَّ على أنَّ للعبْدِ فِعْلًا وكَسْبًا يُجْزَى على حَسَنِهِ بالثَّوابِ، وعلى سَيِّئِهِ بالعِقابِ، وهو واقِعٌ بقضاءِ الله وقَدَرِه.

الشرح

التوفيق بين كون فعل العبد مخلوقا لله، وكونه كسبا للفاعل:

عرفت ممـا سبق أن فعل العبد مخلوق لله، وأنه كسب للعبد يجازى عليه الحسن بأحسن و السيئ بمثله فكيف نوفق بينهمـا؟

التوفيق بينهما: أن وجه كون فعل العبد مخلوقًا لله تعالي أمران:

الأول: أن فعل العبد من صفاته، والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى:

الثاني: أن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بدنية ولولاهما لم يكن فعل، والذي خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى، وخالق السبب خالق للمسبب، فنسبة فعل العبد إلي خلق الله ما له نسبه مسبب إلي سبب لا نسبة مباشرة؛ لأن المباشر حقيقة هو العبد؛ فلذلك نسب الفعل إليه كسبًا وتحصيلًا، ونسب إلي الله خلقًا وتقديرًا فلكل من النسبتين اعتبار، والله اعلم.

المخالفون للحق فِي القضاء والقدر والرد عليهم:

المخالفون للحق في القضاء والقدر طائفتان:

الطائفة الأولى: الجبرية، يقولون: العبد مجبور على فعله وليس له اختيار في ذلك ونرد عليهم بأمرين:

١- أن الله أضاف عمل الإنسان إليه وجعله كسبًا له يعاقب ويثاب بحسبه، ولو كان مجبورًا عليه ما صح نسبته إليه؛ ولكان عقابه عليه ظلما.

٢- أن كل واحد يعرف الفرق بين الفعل الاختياري والاضطراري في الحقيقة والحكم، فلو اعتدى شخص على آخر وادعى أنه مجبور على ذلك بقضاء الله وقدره لَعُدَّ ذلك سفهًا مخالفًا للمعلوم بالضرورة.

الطائفة الثانية: القدرية، يقولون: العبد مستقل بعمله ليس لله فيه إرادة ولا قدرة ولا خلق، ونرد عليهم بأمرين:

١- أنه مخالف لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر:٦٢]. ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات: ٩٦].

٢- أن الله مالك السموات والأرض، فكيف يكون في ملكه ما لا تتعلق به إرادته وخلقه؟

أقسام الإرادة والفرق بينهم:

إرادة الله تنقسم إلى قسمين: كونية وشرعية:

فالكونية: هي التي بمعنى المشيئة؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

والشرعية: هي التي بمعنى المحبة؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٧].

والفرق بينهما: أن الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوبًا لله، وأما الشرعية فيلزم أن يكون المراد فيها محبوبًا لله ولا يلزم وقوعه.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

ليس معنى إثبات القدر أننا نقول: إننا مجبرون على أعمالنا، وأن يكون قضاء الله جل وعلا وقدره حجة لنا في ترك ما فرض علينا، فإذا ترك العبد فرضًا من فرائضه؛ قال: قُدِّر علي، أو ترك واجبًا من الواجبات؛ قال: قُضي عليَّ، وإذا فعل معصية؛ قال هذا مُقدّر عليَّ.

وأهل السنة والجماعة يقولون: **لا يُحتجّ بالقدر على المعايب، ولكن يحتجّ بالقدر في المصائب.** فإذا وقعت مصيبة على العبد؛ فإنه يقول: هذا قضاء الله وقدره؛ فلا تلمني على شيء قضاه الله وقدّره، ولكن إذا كان منه تفريط في أمر واجب؛ فإنه لا يحتجُّ بالقدر على المعصية، وإنما كما عند أهل السنة: يُحتج بالقدر في المصائب لا في المعائب. وهذا مأخوذ من قصة محاجّة آدم عليه السلام مع موسى عليه السلام.

وهنا ذكر الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى لفظ الكسب أيضًا، وهذا الموضع مما **انتقد عليه أيضًا**، وذلك أن لفظ الكسب مما استعمله الأشاعرة وجاء في القرآن ﴿لَهَا مَا

كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦]؛ ولكنه إذا كان في باب الاعتقاد فينبغي إذا استعملت الألفاظ التي يستدل بها أهل البدع أن يكون استعمالها موضَّحًا بالمعنى الصحيح، فلا تستخدم الألفاظ التي تحتمل معنى ليس بصحيح كما عليه أهل البدع، فقوله عز وجل: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦] يعني عمِلت، فالكسب في القرآن هو العمل.

أما الأشاعرة ومن شابههم من المبتدعة فاستعملوا الكسب بمعنى أن العبد يكون محلًّا لفعل الله جل وعلا، فيقول: هو كسب الفعل لأنه محله، ولا يجعلونه فاعلًا حقيقة، ولكن العبد فاعل لفعله حقيقة، والله جل وعلا هو الذي خلق فعله، فيُضاف الفعل إلى الله جل وعلا خلقًا وتقديرًا، ويضاف الفعل إلى العبد أيضًا فعلًا منه واختيارًا وعملًا، فهو فاعل لفعله حقيقة، والله جل وعلا هو الذي خلق العبد وخلق أفعاله.

وبهذا يتبين لك مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في مسألة القدر، وهي مسألة مهمة، ولكن لنتذكر قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «القدر سر الله فلا تكشفوا» يعني أن القدر من الأسرار التي إذا أتى العبد وخاض فيها؛ فإنه لن يصل فيها إلى مبتغاه، إلا إذا سار على ما دلت عليه النصوص، وقد جاءت في بعض الأحاديث «**وإذا ذُكر القدر فأمسكوا**»[1]؛ لأن العبد إذا خاض في هذا على غير بصيرة؛ فإنه يقع في الضلال، **وسبب ضلال الخلق** أنهم دخلوا في تعليل أفعال الله، ودخلوا في البحث في مسائل القدر دون معرفة لما دل عليه الكتاب والسنة؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تائيته القدرية التي ردّ بها على اليهودي الذي شكّك في قدر الله جل وعلا وفي أفعال الله، قال من ضمن ما قال فيها:

وأصلُ ضلالِ الخلْقِ مِنْ كُلّ فِرقَةٍ ... هو الخوضُ في فعْلِ الإلهِ بعلَّةِ

---

(١) صحيح: صححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٤٥)، والصحيحة (٣٤).

فإنَّهمُ لم يَفْهَمُوا حِكْمَةً لَهُ فصاروا على نَوْعٍ مِنَ الجاهليَّةِ

وما أحسن قولَ ابن الوزير أيضًا في كتابه: «**إيثار الحق على الخلق**» لما تعرض لمسألة التعليل وأفعال الله جل وعلا وكيف نفهم القدر، وأنّه يجب علينا أن نَسْلُوَ ونبتعد عن فهمنا للحِكَم جميعًا، قال مما قال في أبيات لطيفة طيبة قال:

تسلّ عن الوفاق فربنا قد حكى بين الملائكة الخصاما

كذا الخضرِ المكرّم والوجيه الـ ـمكلّم إذ ألم به لماما

تكدر صفو جمعهما مرارا وعجل صاحب السرّ الصراما

ففارقه الكليم كليم قلب وقد ثنى على الخضر الملاما

وماسبب الخلاف سوى اختلاف الـ ـعلوم هناك بعضا أو تماما

فكان من اللوازم أن يكون الإلـ ـه مخالفا فيها الأناما

لأننا لو فهمنا، ولو كان علمنا كعلم الله جل وعلا لفهمنا الأسرار، لكن علمنا قاصر، فلا يمكن أن نفهم فقال هنا مبينًا السر في ذلك: (وما سبب الخلاف) وهذه قاعدة عامة:

وماسبب **الخلاف** سوى اختلاف الـ ـعلوم هناك بعضا أو تماما

فكان **من اللوازم** أن يكون الإلـ ـه مخالفا فيها الأناما

فلا **تجهل لها** قدرا وخذها شكورًا للذي يحيي العظاما

وهذا ظاهر، **في أن** العبد المؤمن إذا تأمل في قصة موسى، وأن موسى أنكر على الخضر بعض **الأفعال؛ لأنه** لا يعلم الحكمة من ورائها؛ فرأه قتل غلامًا ولم يعلم الحكمة من **ورائه فاحتج،** وحرق سفينة وما علم الحكمة من ورائها فاحتج؛ لأجل نقص علمه **في تلك المسائل** عن علم الخضر، فكيف بعلم الله جل وعلا مع الخلق، فلم يبقَ لنا في هذا **الباب إلا التسليم** المحض والعمل الجاد.

أسأل الله أن يهدينا وإياكم إلى سبيله القويم، وأن يفقهنا في دينه، وأن يرزقنا العلم والعمل والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



فصل الإيمان قول وعمل

٥٠- والإيمـانُ: قوْلٌ باللسانِ وعمَلٌ بالأرْكانِ وعَقْدٌ بالجَنَانِ، يزيدُ بالطاعةِ وينْقُصُ بالعصيانِ.

٥١-قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة:٥]، فجعَلَ عبادَةَ الله تعالى وإخلاصَ القلبِ، وإقامَ الصَّلاةِ، وإيتاءَ الزَّكاةِ، كُلَّهُ مِنَ الدِّينِ.

٥٢-وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «الإِيمَـانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاَهَا شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَـاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»[١].

٥٣-فجعَلَ القَوْلَ والعَمَلَ مِنَ الإيمـانِ. وقال تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤]، وقال: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [الفتح:٤].

٥٤-وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ أَوْ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمـانِ»[٢]. فجعَلَهُ متفاضلاً.

الشرح

الإيمان:

الإيمان لغة: التصديق، **واصطلاحًا:** قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجنان.

---

(١) رواه مسلم (٣٥)

(٢) أخرج نحوه البخاري (٤٤، ٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣)، وهذا ما نوه عليه الشارح ستجده بعد قليل إن شاء الله.

مثال القول: لا إله إلا الله، ومثال العمل: الركوع، ومثال العقد: الإيمان بالله وملائكته، وغير ذلك مما يجب اعتقاده.

والدليل على أن هذا هو الإيمان: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]. فجعل الإخلاص والصلاة والزكاة من الدين.

وقال النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها : شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق**». رواه مسلم بلفظ: «**فأفضلها قول لا إله إلا الله**»[1]. وأصله في الصحيحين. والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ لقوله تعالى: ﴿فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٧٣] ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ [الفتح: ٤].

وقال النبي ﷺ : «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة، أو خردلة، أو ذرة من إيمان**». رواه البخاري بنحوه، فجعله النبي ﷺ متفاضلًا، وإذا ثبت زيادته ثبت نقصه؛ لأن من لازم الزيادة أن يكون المزيد عليه ناقصًا عن الزائد.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه الجمل فيها ذكر مبحث الإيمان ومعتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان، ومن أوائل المسائل الواقعة في هذه الأمة مما اختلف فيه أهل الفرق عما كان عليه

---

(١) أخرجه البخاري (٩) بنحوه، وهو عند مسلم (٣٥) باللفظ الذي ذكره العلامة ابن عثيمين.

الصحابة والتابعون لهم بإحسان مسألة الإيمـان؛ هل تدخل الأعمـال في مُسمَّى الإيمـان؟ وهل الإيمـان متفاضل؛ أو يتبعض؟ أي: هل يزيد و ينقص؟ وهل هو أبعاض؟ قد يذهب بعضه ولا يذهب كله.

فقال أولئك الضُّلاّل: إنّ الإيمـان قول واعتقاد، وأمـا العمل؛ فلا يدخل في مسمى الإيمـان، وهؤلاء يسمون المرجئة، والمرجئة على قسمين:

١. **غلاة المرجئة:** الذين يقولون: إنّ الإيمـان هو المعرفة؛ معرفة القلب لا غير، وهذا موجود اليوم في غلاة المتصوفة، وفي طوائف متنوعة.

٢. **والقسم الثاني:** الذين يقولون: إنّ الإيمـان قول واعتقاد، ويُخرجون العمل من مُسمّى الإيمـان، فيجعلونه تابعًا للإيمـان، وليس منه، وليس من مسمـاه، يعني أن العمل ليس ركنًا في الإيمـان لا يقوم الإيمـان إلا به، وهؤلاء يُسَمَّوْنَ مرجئة الفقهاء، كثر هذا في الحنفية؛ لأنه قد قال به الإمـام أبو حنيفة.

وطائفة أخرى خالفت، وقالت: إنّ الإيمـان إمـا أن يبقى جميعه، وإمـا أن يذهب جميعه، فليس متفاضلًا، فإذا عمل العبد بالمعصية الكبيرة؛ فإنه يذهب جميعُ إيمـانه. فالإيمـان على حالين: إمـا أن يبقى، وإمـا أن يذهب، وليس الإيمـان متبعضًا يزيد وينقص، وقد يذهب بعضُه ولا يذهب أصلُه، وهذا هو المعروف من قول الخوارج ومن نحا نحوهم من التكفير بالذنوب والمعاصي.

ومعتقد أهل السنة والجمـاعة في الإيمـان أنهم يقولون: إن الإيمـان هو مـا جمع خمسة أمور؛ أعني أن معتقدهم في الإيمـان أنه مـا جمع خمسة أمور:

- **الأول:** اعتقاد القلب.
- **الثاني:** قول اللسان.
- **الثالث:** العمل؛ عملٌ بالأركان.

• **الرابع**: أن الإيمـان يزيد بطاعة الرحمـن.

• **الخامس**: أن الإيمـان ينقص بمعصية الرحمـن وبطاعة الشيطان.

فهذه خمسة أمور تميز بكل واحد منها أهل السنة والجمـاعة عمّن خالفهم في هذا الأصل، وأدلّة ذلك ظاهرة بينة، فهو قول وعمل.

فالإيمـان قول وعمل؛ قول القلب وعمل القلب، وقول الجوارح وعمل الجوارح:

- **وقول القلب**: هو نيته وإخلاصه.
- **وعمل القلب**: هو مـا يقوم به من الاعتقاد.
- **وقول الجوارح**: هو قول اللسان.
- **وعمل الجوارح**: هو جنس الأعمـال التي تعمل بها الجوارح من طاعة الله جل وعلا.

فهو قول وعمل، فمن قال من السلف: إن الإيمـان قول وعمل فهو يعني به هذه الأمور الخمسة؛ لأن قولَه: قول وعمل. يشمل ذلك.

أمـا زيادته ونقصانه فقد دلت عليها الأدلة الكثيرة، فإذن صار عندنا مسمى للإيمـان غير مـا تدل عليه اللغة في الإيمـان، وذلك أنّ الإيمـان:

في اللغة: أصله التصديق الجازم، وقال بعض أهل العلم: إنّ أصله من الأمن؛ لأن من صدَّق جازمًـا فإنه يأمن غائلة التكذيب.

وفي **الاصطلاح**: عند أهل السنة والجمـاعة هو مـا فسّروه بالأمور الخمسة.

وفي القرآن أتى الإيمـان بالمعنى اللغوي وبالمعنى الشرعي، وقد فرّق بين مجيء هذا وهذا في القرآن بعض أهل العلم بقوله: «**إن غالب مـا جاء فيه الإيمـان بالمعنى اللغوي فإنه يُعَدَّى باللام، ومـا جاء فيه بالمعنى الشرعي فإنه يُعدَّى فيه بالباء**».

فمن الأول: أعني الإيمـان اللغوي الذي عُدي باللام قوله جل وعلا: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧]، فلمـا قال: ﴿بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ تعدّى الإيمـان باللام علمنا أن المعنى هنا الإيمـان اللغوي، تقول آمنت لك، يعنى صدّقتك تصديقًا جازمًـا، وكمـا قال جل وعلا: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾ [العنكبوت:٢٦] يعنى صدّق به تصديقًا جازمًـا.

أمـا القسم الثاني: وهو الإيمـان الشرعي فإنه يعدّى بالباء ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ﴾ [البقرة:٢٨٥]، ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [البقرة:١٣٨] فهذا إيمـان شرعي خاص.

وزيادة الإيمـان ونقصانه أصل عند أهل السنة والجمـاعة يخالفون به الخوارج ومن يكفرون بالذنوب.

وينبغي أن يُعلم هنا أن أهل السنة يقولون: لا نكفر بذنب، ويقصدون بذلك لا يكفرون بعمل المعاصي، **أمـا مباني الإسلام العظام التي هي الصلاة والزكاة والصيام والحج**؛ ففي تكفير تاركها والعاصي بتركها خلاف مشهور عندهم، فقولهم: «إنَّ أهل السنة والجمـاعة يقولون: لا نكفر بذنب مـا لم يستحله بإجمـاع». يعني المعصية، أمـا المباني العظام؛ فإن التكفير عندهم فيه الخلاف مشهور؛ منهم من يكفر بترك مباني الإسلام العظام أو أحد تلك المباني، ومنهم من لا يكفر.

كذلك ينبغي أن يُعلم أن قولنا: «العمل داخل في مسمَّى الإيمـان وركن فيه لا يقوم الإيمـان إلا به». نعني به جنس العمل، وليس أفراد العمل؛ لأن المؤمن قد يترك أعمـالًا كثيرة صالحة مفروضة عليه ويبقى مؤمنًا، لكنه لا يُسمَّى مؤمنًا ولا يصحُّ منه إيمـان؛ إذا ترك كل العمل، أعني إذا أتى بالشهادتين وقال: أقول ذلك وأعتقده بقلبي، وأترك كل الأعمـال وأكون مؤمنًا بذلك.

فالجواب أن هذا ليس بمؤمن؛ لأنّه تركٌ مسقطٌ لأصل الإيمـان؛ لأن ترك جنس العمل

مسقط لأصل الإيمـان؛ فلا يوجد مؤمن عند أهل السنة والجماعة يصحّ إيمانه إلا ولا بد أن يكون معه مع الشهادتين جنس العمل الصالح، يعني جنس الامتثال للأوامر والاجتناب للنواهي.

كذلك الإيمـان مرتبة من مراتب الدين، والإسلام مرتبة من مراتب الدين، والإسلام فُسِّر بالأعمـال الظاهرة، كمـا جاء في «المسند» أن النبي ﷺ قال: **«الإسلام علانية، والإيمـان في القلب»**(١) يعني أن الإيمـان ترجع إليه العقائد -أعمـال القلوب-، وأمّا الإسلام فهو مـا ظهر من أعمـال الجوارح، فليُعلم أنّه لا يصح إسلام عبد إلا ببعض إيمـان يصحّح إسلامه، كمـا أنَّه لا يصح إيمـانه إلا ببعض إسلام يصحح إيمـانه، فلا يُتصور مسلم ليس بمؤمن البتة، ولا مؤمن ليس بمسلم ألبتة.

وقول أهل السنة: «إنّ كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا» لا يعنون به أن المسلم لا يكون معه شيء من الإيمـان أصلًا، بل لا بد أن يكون معه مطلق الإيمـان الذي به يصح إسلامه، كمـا أن المؤمن لا بد أن يكون معه مطلق الإسلام الذي به يصح إيمـانه، ونعني بمطلق الإسلام جنس العمل، فبهذا يتفق مـا ذكروه في تعريف الإيمـان ومـا أصَّلوه من أن كل مؤمن مسلم دون العكس.

فإذن ها هنا كمـا يقول أهل العلم عند أهل السنة والجماعة خمس نونات:

- **النون الأولى**: أن الإيمـان قول اللسان، هذه النون الأولى أعني نون اللسان.
- **الثانية**: أنه اعتقاد الجنان.
- **الثالثة**: أنه عمل بالأركان.
- **النون الرابعة**: أنه يزيد بطاعة الرحمـن.

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (١١٩٧٣)، وضعفه العلامة الألباني في كتاب الإيمـان، وتخريج الطحاوية (ص ٣٩٠).

• **الخامسة**: أنه ينقص بطاعة الشيطان وبمعصية الرحمن.

والإيمان متفاضل؛ كلما عمل العبد طاعة؛ زاد الإيمان، وإذا عمل معصية نقص الإيمان؛ فبقدر إيمانه؛ وبقدر متابعته وبقدر إحداثه للطاعات يزيد إيمانه، سواءٌ كانت طاعات القلوب من **الاعتقادات**، أو طاعات الجوارح من الأعمال الصالحات، فإن بذلك زيادة في الإيمان، **فإذا** عمل معصية نقص الإيمان.

كذلك الناس في أصل **الإيمان ليسوا سواء**؛ بل مختلفون، فإيمان أبي بكر ليس كإيمان سائر الصحابة، ولهذا **قال شعبة أبو** بكر بن عياش القارئ المعروف: «ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا **صيام، وإنما** بشيء وقر في قلبه».

وهذا مستقى من بعض **الأحاديث، أو من** بعض الآثار، يعني أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان معه من أصل الإيمان **ما ليس** عند غيره، فيُغلِّطُ أهل السنة من قال: إن أهل الإيمان في أصله سواء، وإنما **يتفاضلون** بعد ذلك بالأعمال. بل هم مختلفون في أصله.

وفهم معتقد أهل السنة **والجماعة في الإيمان** يمنع من الدخول في الضلالات؛ من التكفير بالمعصية، أو من **التكفير بما ليس** بمكفر، فمن فهم معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان، حصّن **لسانه وعقله** من الدخول في الغلو في التكفير، واتّباع الفرق الضالة التي سارعت في باب **التكفير، فخاضت** فيه بغير علم، فكفَّروا المسلمين، وأدخلوا في الإسلام والإيمان من **ليس بمسلم** ولا مؤمن.

❀❀◇❀❀

فصل الإيمان بكل ما أخبر به الرسول ﷺ

٥٥-ويجبُ الإيمـانُ بكلِّ مَـا أَخبَرَ به النبيُّ ﷺ وصَحَّ به النَّقلُ عَنْه فيمـا شَاهَدْناه أو غابَ عَنّا نَعْلَمُ أنَّه حَقٌّ وصِدقٌ، وسواءٌ في ذلك مـا عقَلْناهُ وجَهِلناهُ، ولم نَطَّلِعْ على حقيقةِ معناهُ، مِثْلَ حديثِ الإسْراءِ والمِعراجِ وكان يَقَظَةً لا مَنامًـا، فإنَّ قُريْشًا أنْكَرَتْهُ وأَكْبَرَتْهُ ولم تُنْكِرِ المنامـاتِ.

٥٦-ومِنْ ذلك أنَّ ملَكَ الموْتِ لَمَّـا جاءَ إلى موسى عليه السلامُ ليَقْبِضَ روحَهُ لَطَمَهُ فَفقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إلى ربِّهِ فَردَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ.

الشرح

السمعيات:

السمعيات: كل مـا ثبت بالسمع، أي: بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيها مدخل، وكل مـا ثبت عن النبي ﷺ من أخبار فهي حق يجب تصديقه؛ سواء شاهدناه بحواسنا أو غاب عنا، وسواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ۝١١٩ ﴾ [البقرة: ١١٩].

وقد ذكر المؤلف من ذلك أمورا:

الأمر الأول: الإسراء والمعراج:

الإسراء لغة: السير بالشخص ليلًا، وقيل: بمعنى سرى.

وشرعا: سير جبريل بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس؛ لقوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ

أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

والمعراج لغة: الآلة التي يعرج بها وهي المصعد.

وشرعا: السلم الذي عرج به رسول الله ﷺ من الأرض إلى السماء؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم:١-٢] ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم:١٨].

وكانا في ليلة واحدة عند الجمهور، وللعلماء خلاف متى كانت، فيروى بسند منقطع عن ابن عباس وجابر رضي الله عنه أنها ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، ولم يعينا السنة. رواه ابن أبي شيبة.

ويروى عن الزهري وعروة أنها قبل الهجرة بسنة، رواه البيهقي، فتكون في ربيع الأول ولم يعينا الليلة، وقاله ابن سعد وغيره، وجزم به النووي، ويروى عن السدي أنها قبل الهجرة بستة عشر شهرًا، رواه الحاكم، فتكون في ذي القعدة وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بخمس، وقيل: بست.

وكان يقظة لا منامًا؛ لأن قريشًا أكبرته وأنكرته، ولو كان منامًا لم تنكره؛ لأنها لا تنكر المنامات.

وقصته: أن جبريل أمره الله أن يسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس على البراق، ثم يعرج به إلى السموات العلا سماء سماء، حتى بلغ مكانًا سمع فيه صريف الأقلام، وفرض الله عليه الصلوات الخمس، واطلع على الجنة والنار، واتصل بالأنبياء الكرام، وصلي بهم إمامًا، ثم رجع إلى مكة فحدَّث الناس بما رأى؛ فكذبه الكافرون؛ وصدق به المؤمنون؛ وتردد فيه آخرون.

الأمر الثاني: مجيء ملك الموت إلى موسى ﷺ:

جاء ملك الموت بصورة إنسان إلى نبي الله موسى عليه السلام ليقبض روحه؛

فلطمه موسى ففقأ عينه؛ فرجع الملك إلى الله، وقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فردَّ الله عينه وقال: ارجع إليه وقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطى يده بكل شعرة سنة، فقال موسي: ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسال الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر، قال النبي ﷺ: **«فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب[1] الأحمر»**[2].

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين، وإنما أثبته المؤلف في العقيدة؛ لأن بعض المبتدعة أنكره؛ معللًا ذلك بأنه يمتنع أن موسى يلطم الملك، ونرد عليهم بان الملك أتى موسى بصورة إنسان لا يعرف موسى من هو، يطلب منه نفسه، فمقتضى الطبيعة البشرية أن يدافع المطلوب عن نفسه، ولو علم موسى أنه ملك الموت لم يلطمه؛ ولذلك استسلم له في المرة الثانية حين جاء بما يدل أنه من عند الله وهو إعطاؤه مهلة من السنين بقدر ما تحت يده من شعر ثور.



٥٧-ومِنْ ذلك أشراطُ السّاعةِ، مِثْلُ خُروجِ الدَّجَّالِ، ونُزولِ عيسى ابنِ مريمَ عليه السلامُ فيَقْتُلُهُ[3]،وخروجِ يأجوجَ ومأجوجَ، وخروج الدَّابّةِ، وطُلُوعِ الشَّمسِ مِنْ مغْرِبِهَا، وأشْباهِ ذلك مما صحَّ به النَّقْلُ.

---

(١) **الكثيب**: ما ارتفع من الرمل المجتمع.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٩، ٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢).

(٣) **قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله**: والأحاديث في ذلك متواترة كما شهد بذلك كثير من الحفاظ المهرة، ولي رسالة في ذلك أسميتها: «قصة المسيح الدجال، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله إياه» أرجو أن ييسر الله لي تبييضها.

الشرح

الأمر الثالث: أشراط الساعة:

الأشراط: جمع شرط، وهو لغة: العلامة. والساعة لغة: الوقت أو الحاضر منه، والمراد بها هنا: القيامة.... فأشراط الساعة شرعًا: العلامات الدالة على قرب يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

وذكر المؤلف من أشراط الساعة ما يأتي:

١- **خروج الدجال:** وهو لغة: صيغة مبالغة من الدجال وهو الكذب والتمويه، وشرعًا: رجل مموه يخرج في آخر الزمان يدعي الربوبية، وخروجه ثابت بالسنة والإجماع، قال النبي ﷺ: «**قولوا: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»[(١)]. رواه مسلم. وكان النبي ﷺ يتعوذ من في الصلاة. متفق عليه[(٢)]. وأجمع المسلمون على خروجه

وقصته: أنه يخرج من طريق بين الشام والعراق، فيدعو الناس إلى عبادته، فأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب، ويتبعه سبعون ألفًا من يهود أصفهان فيسير في الأرض كلها كالغيث استدبرته الريح إلا مكة والمدينة فيمنع منهما، ومدته أربعون يومًا يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعه، وباقي أيامه كالعادة. وهو أعور العين مكتوب بين عينه (ك ف ر) يقرؤه المؤمن فقط، وله فتنة عظيمة منها: أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، معه جنة ونار، فجنته نار وناره جنة، حذَّر منه النبي ﷺ وقال: من

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٣، ١٣٧٧، ومواضع)، ومسلم (٥٨٨، ٥٨٩).

سمع به فلينأ عنه، ومن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، أو بفواتح سورة الكهف»[1].

٢- **نزول عيسى بن مريم** : نزول عيسى بن مريم ثابت بالكتاب والسنة و إجماع لمسلمين.

قال الله تعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء:١٥٩]. أي: موت عيسي، وهذا حين نزوله كما فسّره أبو هريرة بذلك.

وقال النبي ﷺ : «**والله لينزلن عيسى بن مريم حكمًا وعدلًا**»[2] . الحديث متفق عليه.

وقد أجمع المسلمون على نزوله، فينزل عند المنارة البيضاء في شرقي دمشق، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلب الدجال حتى يدرك بباب لد فيقتله، ويكسر الصليب ويضع الجزية، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين، ويحج ويعتمر، كل هذا ثابت في صحيح مسلم، وبعضه في الصحيحين كليهما.

وروى الإمام أحمد وأبو داود: أن عيسى يبقى بعد قتل الدجال أربعين سنة، ثم يتوفى و يصلي عليه المسلمون. وذكر البخاري في تاريخه أنه يدفن مع النبي ﷺ فالله أعلم.

٣- **يأجوج وماجوج**: اسمان أعجميان، أو عربيان مشتقان من المأج، وهو الآضطراب، أو من أجيج النار وتلهبها.

وهما أمتان من بني آدم موجودتان بدليل الكتاب والسنة.

---

(١) انظر صحيح مسلم (٢٩٣٧)، سنن الترمذي (٢٢٤٠)، وسنن أبي داود (٤٣٢١) فإن القصة هناك، وهي عند البخاري بنحوها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

قال الله تعالى في قصة ذي القرنين: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ ﴾ [الكهف: ٩٣-٩٤] الآيات.

وقال النبي ﷺ: «**يقول الله يوم القيامة: يا آدم، قم فابعث بعث النار من ذريتك**» إلى أن قال رسول الله ﷺ: «**أبشروا فإن منكم واحد، ومن يأجوج ومأجوج ألفًا**»(١). أخرجاه في الصحيحين.

وخروجهم الذي يكون من أشراط الساعة لم يأت بعد، ولكن بوادره وجدت في عهد النبي ﷺ؛ فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها**»(٢).

وقد ثبت خروجهم في الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧].

وقال النبي ﷺ: «**إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات .... فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك: نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»(٣). رواه مسلم.

وقصتهم في حديث النواس بن سمعان أن النبي ﷺ قال في عيسى بن مريم بعد قتله الدجال: «**فبينما هو كذلك إذا أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عبادًا لي لا**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٦، ٣٥٩٨، ومواضع)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٠١).

يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمرا آخرهم ويقول: لقد كان بهذه مرة ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما، ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله»[1]. رواه مسلم.

٤- **خروج الدابة:** الدابة لغة: كل دب على الأرض. والمراد بها هنا : الدابة التى يخرجها الله قرب قيام الساعة ... وخروجها ثابت بالقرآن والسنة.

قال الله تعالى: ﴿ ۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل: ٨٢].

وقال النبي ﷺ : «**إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات**» وذكر منها: «**الدابة**» رواه مسلم.

وليس من القرآن والسنة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابة وصفتها، وإنما وردت في ذلك أحاديث في صحتها نظر، وظاهر القرآن أنها دابة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك، والله أعلم.

٥- **طلوع الشمس من مغربها:** طلوع الشمس من مغربها ثابت بالكتاب والسنة،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨].

والمراد بذلك: طلوع الشمس من مغربها.

وقال النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾»[1] متفق عليه.



٥٨-وعذابُ القبرِ[2] ونعيمُه حقٌّ، وقد استعاذَ النبيُّ ﷺ مِنْهُ، وأَمَرَ بِهِ في كلِّ صلاةٍ.

٥٩-وفِتْنَةُ القَبْرِ حقٌّ، وسُؤالُ مُنْكَرٍ ونكيرٍ حقٌّ.

الشرح

فتنة القبر:

الفتنة لغة: الاختيار، وفتنة القبر: سؤال الميت عن ربه ودينه ونبيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٣٥، ٦٥٠٦)، ومسلم (١٥٧).

(٢) **قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في تعليقه على العقيدة الطحاوية:** يعني من الكفار، وفساق المسلمين، والأول مقطوع به منصوص عليه في القرآن، والآخر كذلك وهو منصوص عليه في أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر كما ذكر الشارح وغيره. فيجب الاعتقاد به، ولكن لا يجوز الخوض في تكييفه، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فيجب التسليم به، وتجد بعض الأحاديث المشار إليها في «الشرح» وفي «السنة» لابن أبي عاصم (رقم ٨٦٣-٨٧٧ بتحقيقي وتخريجي).

وهي ثابتة بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧].

وقال النبي ﷺ: **«المسلم إذا سُئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله تعالى:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧]»[١]. متفق عليه.

والسائل ملكان؛ لقول النبي ﷺ: **«إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، قال: يأتيه ملكان فيقعدانه»**[٢]. رواه مسلم. واسمهما: «منكر ونكير»[٣] كما رواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعا، وقال: حسن غريب... قال الألباني: وسنده حسن، وهو على شرط مسلم، والسؤال عام للمكلفين من المؤمنين والكافرين ومن هذه الأمة وغيرهم على القول الصحيح، وفي غير المكلفين خلاف.

وظاهر كلام ابن القيم في كتاب (الروح) ترجيح السؤال.

ويستثنى من ذلك الشهيد؛ لحديث رواه النسائي، ومن مات مرابطًا في سبيل الله لحديث رواه مسلم.

عذاب القبر أو نعيمه:

عذاب القبر أو نعيمه حق ثابت بظاهر القرآن وصريح السنة وإجماع أهل السنة، قال الله تعالى في سورة الواقعة: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

(٣) حسن: أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه العلامة الألباني في جامع الترمذي (٣/ ٣٨٣)، الصحيحة (١٣٩١).

إلى قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩] إلخ السورة....

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من عذاب القبر، وأمر أمته بذلك، وقال النبي ﷺ في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر، قال في المؤمن: «**فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من ريحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره**». وقال في الكافر: «**فينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي فافرشوه من النار، وافتحوا له بابًا من النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه**»[1]. الحديث وراه أحمد وأبو داود.

وقد اتفق السلف وأهل السنة على إثبات عذاب القبر ونعيمه ذكره ابن القيم في كتابه (الروح)، وأنكر الملاحدة عذاب القبر متعللين بأننا لو نبشنا القبر لوجدناه كما هو، ونرد عليهم بأمرين:

١- دلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف على ذلك.

٢- أن أحوال الأخرة لا تقاس بأحوال الدنيا، فليس العذاب أو النعيم في القبر كالمحسوس في الدنيا.

هل عذاب القبر أو نعيمه على الروح أو على البدن؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا فيحصل له معها النعيم أو العذاب».

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٠٦٣)، وصححه العلامة الألباني في سنن أبي داود (٤/ ٢٣٩)، والجامع الصغير (١٦٧٦)، والمشكاة (١٣١)، وصحيح الترغيب والترهيب الجزء الثالث.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

عذاب القبر ونعيمه حق، وفتنة القبر حق، ونعني بفتنة القبر سؤال الملكين الميت عن ربه وعن دينه وعن نبيه محمد ﷺ، فأما المؤمن فيجيب فيقول: ربي الله، يعني معبودي الله، إن الرب ها هنا بمعنى المعبود؛ لأن الابتلاء وقع في العبادة ولم يقع في توحيد الربوبية، ويقول: محمد جاءنا بالبينات والهدى، ويقول: ديني الإسلام، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧]، قوله هنا (فِي الْآخِرَةِ) يعني عند الممات، يعني حين سؤال الملكين، فعذاب القبر ونعيمه حق، وما يجري في القبر من النعيم والعذاب حق، يثبته أهل السنة والجماعة، ونفاه من نفاه من أهل البدع والضلالات، قال جل وعلا في سورة غافر: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر:٤٦]، فجعل العذاب بالنار على قسمين:

- يعرض أولئك على النار غُدُوًّا وعشيًّا.
- ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب.

وهذا نفهم منه أنه يعني بالغدو والعشي عذاب القبر، ولهذا استدل أهل السنة والجماعة على عذاب القبر بالقرآن وبالسنة، وبما يدل عليه العقل أيضًا، فعذاب القبر حق، وما يحصل فيه من نعيم وبسط وسَعة في قبر المؤمن، وضيق وحسرة ونار في قبر الكافر، هذا كله حق، ولا نعلم كيفية حصول ذلك.

كذلك ضغطة القبر حقّ لا يسلم منها أحد، لا المسلم ولا غير المسلم؛ فالكافر يضغط حتى تختلف أضلاعه عذابًا، وأما المؤمن فيضغطه القبر، قال أهل العلم: ضمة القبر للمسلم كضمة الحبيب للحبيب يصله منها بعض الأذى، ولكنها ضمة حبيب

لحبيبه. أي: أن ضمة القبر حق، ولكنها للمؤمن ضمة حب، وللكافر ضمة بغض وعذاب، وهذا كله يضعه جل وعلا ويخلقه جل وعلا في الأرض، فتضم هذا وتضم هذا، وفرق بين تلك الضمّة وتلك الضمّة.



والبَعْثُ بعْدَ الموْتِ حقٌّ وذلك حين يَنْفُخُ إسرافيلُ عليه السلامُ في الصُّورِ: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس:٥١].

الشرح

النفخ في الصور:

النفخ معروف. **والصور لغة:** القرن. **وشرعا:** قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه، وإسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحلمون العرش، وهما نفختان:

إحداهما: نفخة الفزع، ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله.

والثانية: نفخة البعث، ينفخ فيه فيبعثون ويقمون من قبورهم.

وقد دل على النفخ في الصور الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر:٦٨]. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس:٥١].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا، ثم لا يبقى أحد إلا صعق، ثم ينزل الله مطرًا كأنه**

الطل أو الظل -شك الرواي- فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»[١] . رواه مسلم في حديث طويل. وقد اتفقت الأمة على ثبوته.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

هذه الجمل[٢] مشتملة على أصل عند أهل السنة والجماعة، وهو أنهم يسلمون بما جاء من النصوص في أمور الغيب، ولا يدخلون في ذلك متأولين بآرائهم وأفهامهم، وإنما يسلمون الجميع مما جاء من الأمور الغيبية، ويصدِّقون دون دخول في تأويل أو تحريف، وذلك لأنَّ الأحاديث بل والآيات التي فيها ذكر الأمور الغيبية مما خاض فيه المبتدعة من العقلانيين المعتزلة ومن نحا نحوهم، فأنكروا كثيرًا من تلك الأحاديث التي فيها بعض أخبار الغيب، مثل ما جاء في حديث الإسراء من بعض الأوصاف، ومثل ما جاء من أن موسى عليه السلام فقأ عين ملك الموت، ومن مثل ما أخبر به النبي ﷺ به مما يكون في الساعة، فينكرون حقائق ذلك ويؤولونه ويحرفونه.

وأهل السنة عندهم أمور الغيب بابها واحد؛ وهو أن يُسلَّم لكل نص دون دخول في حقيقة المعنى؛ لأن الأمر الغيبي إنما يسلمون فيه بظاهر المعنى الذي دل عليه النص، أما ما عليه حقيقة تلك الأحوال فإنهم يكلُون علمها إلى بارئها؛ لأنها أمور غيبية، فكل ما أخبر به النبي ﷺ مما لم نرَه، سواءٌ مما سيكون قرب قيام الساعة، أو سيكون بين موت كل عبد إلى قيام الساعة -أعني في الحياة البرزخية-، أو ما يكون في عرصات القيامة ويوم القيامة، كل ذلك يجعلونه بابًا واحدًا فيسلمون به ويثبتونه كما

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٠).

(٢) وهي الفقرات من (٥٥) إلى (٥٩).

جاء، ولا يدخلون فيه متأولين ولا محرفين.

وهذا بناء على أن الواجب على العباد أن يؤمنوا بظواهر الألفاظ، وأن يؤمنوا بظاهر الأدلة، ولا يدخلوا في ذلك مخرجين الأدلة عما دلَّ عليه ظاهرها؛ لأن الأصل في الكلام الحقيقة، وهو ذكر عدة أمثلة، وسيأتي ذكر عدة أمثلة أخر مما سنوضحه إن شاء الله تعالى؛ لكن ليُعلم أنَّ الأصل أنَّ كل ما دخل في أحاديث الغيب -الأحاديث التي فيها أمور غيبية-، أو بعض الآيات، ودخل متأولًا بعقله، محرفًا للنص عن ظاهره، فهو من أهل الأهواء والبدع، وقد ظهر في هذا الزمان طائفة ممن يحكّمون عقولهم على النصوص، ويستنكرون مثل هذه الأحاديث التي فيها ذكر الغيب، ويحرفون ويؤولون، فأحاديث المسيح الدجال أنكروها وقالوا: هذه لا تعقلها العقول السليمة، وحديث فقإ موسى لعين لملك الموت أولوه وقالوا: هذا لا تعقله العقول السليمة، وهكذا فيما يكون في عرصات القيامة، و ما يكون في القبر، حتى جعل بعضهم عذاب القبر إنما هو صوري، ونعيم القبر إنما هو صوري، وليس له حقيقة، قالوا: لأن ذلك غير معقول، على ما جاء تفصيله في بعض الأحاديث مثل ضغطة القبر، ومن مثل إقعاد الميت ونحو ذلك، مما سيأتي بيانُه.



٦٠-ويُحْشَرُ النّاسُ يومَ القيّامةِ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً بُهْمًا فيقِفونَ في موْقفِ القيّامةِ، حتّى يَشْفَعَ فيهم نبيُّنا محمدٌ ﷺ ويُحاسِبُهُم اللهُ تبارك وتعالى، وتُنْصَبُ الموازينُ، وتُنْشَرُ الدَّواوينُ، وتَتَطايَرُ صُحُف الأَعْمالِ إلى الأَيْمانِ والشَّمائِلِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق:٧-١٢].

الشرح

البعث والحشر:

البعث لغة: الإرسال والنشر، **وشرعا:** إحياء الأموات يوم القيامة.

والحشر لغة: الجمع، **وشرعا:** جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم.

والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠].

وقال النبي ﷺ: «**يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد**»[١]. متفق عليه.

وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة.

ويُحشر الناس حفاة لا نعال عليهم، عراة لا كسوة عليهم، غرلًا لا ختان فيهم؛ لقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقول النبي ﷺ: «**إنكم تحشرون حفاةً غرلًا، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وأول من يكسى إبراهيم**»[٢] متفق عليه.

وفي حديث عبد الله بن أنيس المرفوع الذي رواه أحمد: «**يحشر الناس يوم القيامة عراةً غرلًا بهمًا**» قلنا: وما بهمًا؟ قال: «**ليس معهم شيء**» الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٧)، ومسلم (٢٨٦٠).

قال الشيخ صالح-حفظه الله-:

والناس يحشرون يوم القيامة، فالناس إذا ماتوا وكانوا في قبورهم يَبلى كل شيء من ابن آدم إلا عَجْبَ الذنب، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما أنّ أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل شيء يبلى من ابن آدم إلا عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[(١)] فتبقى هذه البذور لِآخر العظام عظام العمود الفقري، عجب الذنب، يبقى في الأرض كبذرة ينبت منها جسم صاحبها إذا أراد الله جل وعلا بعث الورى، فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق، وماتت الخلائق جميعًا إلا من شاء الله، بعث الله جل وعلا سحابًا يحمل مطرًا كمني الرجال، فتُمطر الأرض منه أربعين صباحًا، فتنبت منه أجسام الورى، تنبت منه أجسام الناس، حتى تكون على أكمل هيئة شباب في سن ثلاث وثلاثين، الصغير والكبير يكونون على هذه السن إلا بعض الخلائق، ثم إذا كانوا وشبَّت أجسامهم وأخرجت الأرض أثقالها ولم يكن في الأجسام أرواح؛ نُفخ في الصور نفخة البعث، فتنطلق الأرواح من الصور إلى نفس كل صاحب نفس، فتهتز الأجسام بالأرواح، ويحشرون إلى أرض المحشر.

وصف ذلك ابن القيم رحمه الله في نونيته وصفًا بليغًا جيدًا يحسن حفظه من طالب العلم فقال رحمه الله:

وإذا أرادالله إخراج الورى ... بعد الممات إلى المعاد الثاني
ألقىعلى الأرض التي هم تحتها ... والله مقتدر وذو سلطان
مطرا غليظا أبيضا متتابعا ... عشرا وعشرا بعدها عشران
فتظل تنبت منه أجسام الورى ... مثل النبات كأجمل الريحان

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

حتى إذا مـــا الأم حـــان ولادهـــا وتمخضـــت فنفاســـها متـــدانـــي

أوحى لهـــا رب السمـــــاء فتشـــققت فـــإذا الجـــنين كأكمـــل الشبـــــان

ثم إذا بعث الله جل وعلا الناس ورجعت الأرواح إلى الأجسام؛ سيق الناس إلى أرض المحشر؛ منهم الراكب، ومنهم من يُساق سوقًا، منهم السعيد في حشره إلى أرض المحشر، ومنهم من يفد على الرحمن وفدًا، ومنهم من يساق إلى جهنم وردًا، وفي عرصات القيامة تكون أمور عظام.

قال العلامة ابن عثيمين –رحمه الله-:

الحساب:

الحساب لغة: العدد، **وشرعا:** إطلاع الله عباده على أعمـالهم.

وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجمـاع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

وكان النبي ﷺ يقول في بعض صلاته: «**اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا**» فقالت عائشة رضي الله عنها : مـا الحساب اليسير؟ قال: «**أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه**»[١]. رواه أحمد. وقال الألباني: إسناده جيد.

وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة.

وصفة الحساب للمؤمن: «أن الله يخلو به فيقرره بذنوبه حتى إذا رأى أنه قد هلك، قال الله له: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأمـا الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين»[٢]. متفق عليه من حديث ابن عمر.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢٣٦٩٥)، وصححه العلامة الألباني في المشكاة (٥٥٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

والحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي ﷺ وهم: سبعون ألفًا من هذه الأمة، منهم عكاشة بن محصن، يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب. متفق عليه. وروى أحمد من حديث ثوبان مرفوعًا: «**أن مع كل سبعين ألفًا**». قال ابن كثير: حديث صحيح، وذكر شواهد.

وأول من يحاسب هذه الأمة؛ لقول النبي ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق**»(١) متفق عليه، وروى ابن ماجه عن ابن عباس مرفوعًا: «**نحن آخر الأمم وأول من يحاسب**»(٢) الحديث.

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله. الصلاة؛ لقول النبي ﷺ: «**وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله**»(٣). رواه الطبراني في الأوسط وسنده لا بأس به إن شاء الله قاله المنذري في الترغيب والترهيب (ص ٢٤٦ ج ١) وأول ما يقضى بين الناس في الدماء؛ لقول النبي ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»(٤) متفق عليه.



٦١-والميزانُ له كِفَّتانِ ولِسانٌ، تُوزَنُ به الأعمال ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٨، ٨٧٦، ٨٩٨، ٣٤٨٦)، ومسلم (٨٥٦) واللفظ له.

(٢) صحيح: أخرجه ابن ما جه (٤٢٩٠)، وأحمد (٢٥٤٢)، وصححه العلامة الألباني في سنن ابن ماجه (٢/ ١٤٣٤)، والصحيحة (٢٣٧٤)، الجامع الصغير (٦٧٤٩)، وقصة المسيح الدجال (ص٥٤).

(٣) صحيح: صححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٦)، وقال رحمه الله: رواه الطبراني في الأوسط ولا بأس بإسناده إن شاء الله.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٣٣، ٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

الشرح

الموازين:

الموازين: جمع ميزان، وهو لغة: ما تقدر به الأشياء خفة وثقلًا، وشرعًا: ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد، وقد دل الكتاب والسنة وإجماع السلف، قال الله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقال النبي ﷺ : «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[١] متفق عليه، وأجمع السلف على ثبوت ذلك.

وهو ميزان حقيقي له كفتان؛ لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ في صاحب البطاقة قال: «**فتوضع السجلات في كفه والبطاقة في كفة**»[٢] الحديث رواه الترمذي وابن ماجه، قال الألباني: إسناده صحيح.

واختلف العلماء: هل هو ميزان واحد أو متعدد؟

فقال بعضهم: متعدد بحسب الأمم أو الأفراد أو الأعمال؛ لأنه لم يرد في القرآن إلا مجموعا، وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) صحيح: روى هذه القصة بطولها الترمذي في جامعه (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه العلامة الألباني في جامع الترمذي (٥/ ٢٤).

وقال بعضهم: هو ميزان واحد؛ لأنه ورد في الحديث بعدها، وقيل: صحائف العمل؛ لحديث صاحب البطاقة؛ وقيل: العامل نفسه؛ لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضه، وقال: اقرءوا:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٥]»[1]. متفق عليه.

وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن، أو أن الوزان حقيقة للصحائف وحيث إنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة؛ صار الوزن كأنه للأعمال، وأما وزن صاحب العمل: فالمراد به قدره وحرمته، وهذا جمع حسن، والله أعلم.

نشر الداووين:

النشر لغة: فتح الكتاب أو بث الشيء.

وشرعا: إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتوزيعها.

والدواوين: جمع ديوان، **وهو لغة:** الكتاب يحصى فيه الجند ونحوهم، **وشرعا:** الصحائف التي أحصيت فيها الأعمال التي كتبها الملائكة على العامل. **فنشر الدواوين:** إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة فتطاير إلى الأيمان والشمائل، وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٧-١٢]. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقة:٢٥].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ : «**هل تذكرون أهليكم ؟ قال: أمَّا في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره، وعند**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجوز»[١]. رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح على شرطهما. وأجمع المسلمون على ثبوت ذلك.

صفة أخذ الكتاب:

المؤمن يأخذ كتابه بيمينه؛ فيفرح ويستبشر ويقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩﴾ [الحاقة:١٩].

والكافر يأخذه بشماله أومن وراء ظهره؛ فيدعو بالويل والثبور ويقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦﴾ [الحاقة:٢٥-٢٦].

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

كذلك في عرصات يوم القيامة الميزان، والميزان جنس للموازين قال جلّ وعلا: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧] وقال جل وعلا: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ فهي موازين، ومن أهل العلم من قال: إنه ميزان واحد، وهاهنا نبه المؤلف رحمه الله تعالى إلى أن الميزان حقيقة، فقال: **(له كفتان ولسان)** ويعني بذلك مخالفة المعتزلة الذين قالوا: إن الميزان لا يُعقل أن تكون حقيقته في الآخرة كحقيقته في الدنيا وأنه توزن به الأمور.

ويوزن في الميزان العمل، وصاحب العمل، وصحائف الأعمال، ومنهم من قال -أعني من أهل العلم-: إن وزن صاحب العمل هو وزن عمله. لكن هذا جاء أحاديث فيها وزن صاحب العمل، وفيها وزن الصحائف صحائف الأعمال.

كذلك في عرصات القيامة تطاير الصحف، والناس على صنفين: منهم من يأخذ كتابه بيمينه، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله وراء ظهره، فيكون ذلك التلقي للكتب من

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٧٥٥)، وأحمد (٢٤١٧٥)، وضعفه العلامة الألباني في سنن أبي داود (٤/ ٢٤٠)، الجامع الصغير (١٢٤٥)، والمشكاة (٥٥٦٠)، وضعيف الترغيب والترهيب (٢١٠٨).

اليمين وعن الشمـال، بشارةً للمؤمن، وحسرة على الكافر، كمـا جاء ذلك في سورة الحاقة مبيّنًا.



٦٢-ولنبيِّنا محمدٍ ﷺ حوْضٌ[1] في القِيامَةِ مـاؤُهُ أَشَدُّ بياضًا مِنَ اللَّبَنِ، وأحْلَى مِنَ العَسَلِ، وأَبَارِيقُهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَـاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بعْدَها أبدًا.

الشرح

الحوض:

الحوض لغة: الجمع، يقال: حاض المـاء يحوضه إذا جمعه، ويطلق على مجتمع المـاء.

وشرعا: حوض المـاء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ.

ودل عليه السنة المتواترة وأجمع عليه أهل السنة، قال النبي ﷺ: «**إني فرطكم على الحوض**»[2]. متفق عليه.

وأجمع السلف أهل السنة على ثبوته، وقد أنكر المعتزلة ثبوت الحوض، ونرد عليهم بأمرين:

---

(١) **قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله**: قلت: والأحاديث التي جاء ذكر الحوض فيها كثيرة جداً حتى بلغت مبلغ التواتر كما صرح بذلك جمع من الأئمة، ورواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً، وقد استقصى طرقها الحافظ ابن كثير في «النهاية» في آخر تاريخه، وعقد لها الحافظ ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» سبعة أبواب، (رقم ١٥٥-١٦١) ورقم الأحاديث (٦٩٧ - ٧٧٦- بتحقيقي)، أشار في آخرها إلى تواترها بقوله: «والأخبار التي ذكرناها في حوض النبي ﷺ توجب العلم».

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٥، ٦٥٧٦، ومواضع)، ومسلم (٢٢٨٩).

١- الأحاديث المتواترة عن الرسول ﷺ.

٢- إجماع أهل السنة على ذلك.

صفة الحوض:

طوله شهر وعرضه شهر، وزواياه سواء، وآنيته كنجوم السماء، وماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من ريح المسك، فيه ميزابان يمدانه من الجنة: أحدهما من ذهب والثاني من فضة، يرده المؤمنون من أمة محمد ومن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، وكل هذا ثابت في الصحيحين أو أحدهما وهو موجود الآن؛ لقوله ﷺ: «**وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن**»(١). رواه البخاري، واستمداده من الكوثر؛ لقوله ﷺ: «**وأعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوض**»(٢). رواه أحمد. قال ابن كثير: وهو حسن الإسناد والمتن.

ولكل نبي حوض، ولكن حوض النبي ﷺ أكبرها وأعظمها وأكثرها واردة؛ لقول النبي ﷺ: «**إن لكل نبي حوضا وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة، وإلى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة**»(٣). رواه الترمذي وقال: غريب، وروى ذلك ابن أبي الدنيا وابن ماجه من حديث أبي سعيد وفيه ضعف؛ لكن صححه بعضهم من أجل تعدد الطرق.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

ومنها حوض نبينا ﷺ، والحوض يكون في أول ما يقدَم الناس على عرصات القيامة، وحوض النبي ﷺ وماؤه من نهر الكوثر في الجنة، كما جاء إثبات ذلك في

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٤، ٣٥٩٦، ومواضع)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٨٢٥).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، وصححه العلامة الألباني في جامع الترمذي (٤/ ٦٢٨)، والجامع الصغير (٢١٥٦).

غير ما حديث بأن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة، وقد قال الله جل وعلا لنبيه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر:١]، والكوثر نهر من أنهار الجنة، وبعضهم قال: الكوثر هو الحوض، وكلا القولين صحيح؛ لأن الحوض ماؤه من نهر الكوثر الذي في الجنة.

ومن أهل العلم من يقول: إن الحوض بعد الصراط، أي: بعد عبور الصراط يكون الحوض، ولكل نبي حوض وقد جاء ذلك في بعض الأحاديث وفي إسنادها بعض الشيء، لكن أهل العلم منهم طائفة كبيرة يقولون: ولنبينا حوض ولكل نبي حوض، لكن يختص حوض نبينا عليه الصلاة والسلام بخصائص منها أنه أكثر الأحواض ورودًا عليه، وأن الناس منهم من يرد و منهم من يذاد عنه، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، آنيته كعدد نجوم السماء، وطوله شهر وعرضه شهر، يفد عليه من لم يحدث في الدين حدثًا، ومنهم يُرَدُّ عن الورود على حوض النبي ﷺ، فيقول الرسول عليه الصلاة والسلام «أصحابي، أصحابي»[1] وفي لفظ «أمتي، أمتي»[2] فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك.

ولهذا قال أهل العلم: إن من أسباب عدم ورود حوض النبي ﷺ والذود عليه والحرمان منه المحدثات، فمن كان محدثًا في الدين حدثًا أو آوى محدثًا؛ فإنه يحرم من السقيا من حوض نبينا ﷺ.



(١) رواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٢٩٧).

(٢) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

٦٣-والصِّراطُ حقٌّ يَجُوزُهُ الأَبْرارُ، ويَزِلُّ عنْهُ الفُجَّارُ.

الشرح

الصراط:

الصراط لغة: الطريق، **وشرعا:** الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة، وهو ثابت بالكتاب والسنة وقول السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

فسَّرها عبد الله بن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط، وفسرها جماعة منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن ينجون منها.

وقال النبي ﷺ: «**ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم**»(١). متفق عليه، اتفق أهل السنة على أثباته.

صفة الصراط:

سُئل النبي ﷺ عن الصراط فقال: «**مدحضة مزلة عليها خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان**»(٢). رواه البخاري.

وله من حديث أبي هريرة: «**وبه كلاليب مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، يخطف الناس بأعمالهم**»(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: «**بلغني أنه أدق من الشعر وأحد من السيف**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤٠).

(٣) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٤، ٧٤٣٨)، ومسلم (١٨٢).

(٤) أخرجه أحمد (٢٤٢٧٢) بنحوه.

وروى الإمـام أحمد نحوه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

العبور على الصراط وكيفيته:

لا يعبر الصراط إلا المؤمنون على قدر أعمـالهم؛ لحديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه: «**فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدس في جهنم**»(١) متفق عليه.

وفي صحيح مسلم: «**تجري بهم أعمـالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: يا رب، سلم سلم، حتى تعجز أعمـال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا**»(٢).

وفي صحيح البخاري: «**حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا**»(٣).

وأول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد ﷺ، ومن الأمم أمته؛ لقول النبي ﷺ: «**فأكون أنا وأمتي أول من يجيزه، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم**»(٤) رواه البخاري.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

الصراط حق، وهو دحض مذلة، يمر عليه الناس، فمنهم من يمر عليه كالبرق، ومنهم من يمر عليه كأسرع جواد، ومنهم يمر عليه يمشي مشيًا، ومنهم من يحبو حبوًا، ومنهم من يمشي تارة ويكبو تارة، ومنهم من يزل عنه فيخر في جهنم، منصوب على متن جهنم، والمرور عليه هو الورود الذي قال الله تعالى فيه في سورة مريم: ﴿وَإِن

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري(٧٤٤٠).

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٣٨)، ومسلم (١٨٢).

مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ [مريم:٧١] فقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنّه فسَّر ذلك بالمرور على الصراط.

وكل ما يكون في القيامة مما صحّت أسانيده عن النبي ﷺ، وعُدّلت نقلته، وأثبته أهل العلم، أو جاء في الآيات في الكتاب العظيم، كل ذلك يثبته أهل السنة دون أن ينفوا من ذلك ما لم تعقله عقولهم أو تدركه أفئدتهم، وإنما يجعلون ذلك الباب باب غيبيات، بابُه التسليم، ومداره على الاستسلام لخبرِ مَنْ لا معقب لخبره، لخبر من هو صادق في خبره، لا يعلم حقيقة الأمر إلا هو، وليس أحدٌ يعلم إلا هو جلّ وعلا، أو ما أخبر به رسولُه ﷺ، فكل ذلك حق من تفاصيل كل ما يجري في يوم القيامة.



٦٤- ويَشْفَعُ نبيُّنا ﷺ فيمَنْ دخلَ النّارَ مِنْ أُمّتِهِ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ فيَخْرُجونَ بِشفاعَتِهِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وصاروا فَحْمًا وحِمَمًا، فيدخلونَ الجنَّةَ بشفاعَتِهِ[1].

٦٥-ولسائِرِ الأنبياءِ والمؤمنين والملائكةِ شفاعاتٌ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء:٢٨]

٦٦-ولا تَنْفَعُ الكافِرَ شفاعةُ الشّافعين.

---

(١) قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في تعليقه على العقيدة الطحاوية: وهي متواترة أيضاً، وقد عقد لها ابن أبي عاصم في «السنة» ستة أبواب (١٦٣-١٦٨) رقم الأحاديث (٧٨٤-٨٣٢) وساق طائفة منها الشارح رحمه الله في شرحه، تضمنت أن شفاعته ﷺ ثمانية أنواع، فليراجعه من شاء البحث والتحقيق فإنه هام.

الشرح

الشافعة:

الشفاعة لغة: جعل الوتر شفعا، **واصطلاحًا:** التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، والشفاعة يوم القيامة نوعان خاصة بالنبي ﷺ، وعامة: له ولغيره.

فالخاصة به ﷺ: شفاعته العظمى في أهل الموقف عند الله ليقضى بينهم حين يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون، فيذهبون إلى آدم فنوح فإبراهيم فموسى فعيسى وكلهم يعتذرون، فيأتون إلى النبي ﷺ فيشفع فيهم إلى الله؛ فيأتي ﷻ للقضاء بين عباده.

وقد ذكرت هذه الصفة في حديث الصور المشهور لكن سنده ضعيف متكلم فيه وحذفت من الأحاديث الصحيحة فاقتصر منها على ذكر الشفاعة في أهل الكبائر.

قال ابن كثير وشارح الطحاوية: وكان مقصود السلف من الاقتصار على الشفاعة في أهل الكبائر هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة.

وهذه الشفاعة لا ينكرها المعتزلة والخوارج ويشترط فيها إذن الله لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

النوع الثاني: العامة : وهي الشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنون أهل الكبائر أن يخرجوا منها بعدما احترقوا وصاروا فحمًا وحميمًا؛ لحديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : «**أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس** -أو كما قال:- **تصيبهم النار بذنوبهم** -أو قال:- **بخطايهم فيميتهم إماته حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة**»[1] الحديث رواه أحمد.

(١) أخرجه مسلم (١٨٥)، وأحمد (١٠٦٣٣).

قال ابن كثير في النهاية (ص٢٠٤ ج٢) : وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه.

وهذه الشفاعة تكون للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين لحديث أبي سعيد عن النبي ﷺ وفيه: «**فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين؛ فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حممًا**»[1] متفق عليه.

وهذه الشفاعة ينكرها المعتزلة والخوارج بناء على مذهبهم أن فاعل الكبيرة مخلد في النار؛ فلا تنفعه الشفاعة، ونرد عليهم بما يأتي:

١- أن ذلك مخالف للمتواتر من الأحاديث عن النبي ﷺ .

٢- أنه مخالف لإجماع السلف .

ويشترط لهذه الشفاعة شرطان:

الأول: إذن الله في الشفاعة؛ لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني: رضا الله عن الشافع والمشفوع له؛ لقوله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فأم الكافر فلا شفاعة له لقوله تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر:٤٨].

أي : لو فرض أن أحدًا شفع لهم؛ لم تنفعهم الشفاعة.

وأما شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب حتى كان في ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلي منهما دماغه، وإنه لأهون أهل النار عذابًا، قال النبي ﷺ : «**ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»[2] رواه مسلم. فهذا خاص بالنبي وبعمه أبي طالب فقط

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

وذلك -والله أعلم- لما قام به من نصرة النبي ﷺ والدفاع عنه، وعما جاء به.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

إثبات الشفاعة يوم القيامة مما تميز به أهل السنة و الجماعة، فهناك شفاعة متفق عليها، وهي الشفاعة العظمى، وهو أنه ﷺ يشفع للناس عند ربه جل وعلا في أن يسرع في حسابهم؛ ليرتاحوا من هول الموقف وما فيه من أمور عظام، وذلك كما جاء في حديث الشفاعة الطويل، مِنْ أنّ الناس يذهبون إلى آدم، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم عليه السلام، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى عليهم جميعًا الصلاة والسلام، فيرجعون ويعتذرون عن الشفاعة، يسألهم الناس أن يدعوا الله جلّ و علا ليريحهم من الموقف، ويعجل عليهم الحساب، فيعتذرون عن الشفاعة، ثم يأتون النبي ﷺ فيطلبون منه الشفاعة، فيقول: «**أنا لها، أنا لها**»[1] وذلك أن الله جل وعلا أعطى كل نبي من الأنبياء دعوة يستجاب له فيها جزمًا، قال عليه الصلاة والسلام: «**لكل نبي دعوة مجابة، وإني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»[2].

وهذا يحصل بالشفاعة العظمى، ويحصل أيضًا بالشفاعة الخاصة للمؤمنين؛ ممن دخل النار أن يخرج منها وممن استحق الجنة أن يدخل الجنة، فيأتي النبي ﷺ بين يدي العرش فيسجد بين يدي الله جل وعلا، ويحمد الله بمحامد، فلا يتعجل الشفاعة، ولا يتعجل الدعاء؛ بل يُثني على الله جل وعلا بما هو أهله، قال عليه الصلاة والسلام: «**فأخرّ ساجدًا بين يدي العرش، فأحمد الله بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن، ثم**

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) جزء من حديث الشفاعة.

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٤، ٦٣٠٥، ٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨).

يقول جل وعلا: يا محمد ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع»[١] وهذه هي الشفاعة العُظمى؛ الشفاعة في تعجيل حساب الناس، فيبدأ الحساب.

ومن الشفاعات التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة ما أعطيه نبينا عليه الصلاة والسلام من أنه يشفع لأناس استحقوا النار ألّا يدخلوها، ويشفع لأناس دخلوا النار أن يخرجوا منها، ويشفع لمن استحق الجنة أن يدخلها ولا يتأخر عنها، وكذلك هذا الجنس من الشفاعة ثابت أيضًا للمؤمنين؛ فالمؤمنون يشفعون فيمن شاءوا أن يشفعوا فيه من بعد إذن الله لمن شاء ويرضى، يشفعون ويخرج بشفاعتهم بعض من شفعوا فيه من النار، وكذلك الملائكة تشفع، كما جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة من أن النبي ﷺ روى عن ربه أنه يقول يوم القيامة: **«شفع الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، وبقيت رحمة أرحم الراحمين، فيُخرج من النار قومًا لم يعملوا خيرًا قط، فيلقيهم في ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبّة في حميل السيل»**[٢].

فهذه الشفاعات خالف فيها الخوارج، وخالف فيها المعتزلة، ولم يثبتوا تلك الشفاعات؛ لا للمؤمنين، ولا للملائكة، ولا الشفاعة في أهل النار أن يخرجوا منها؛ يعني لأهل الكبائر أن يخرجوا من النار.

كذلك نبينا ﷺ اختص بشفاعة لكافر، وهو أبو طالب؛ فإن النبي ﷺ يشفع له حتى يُخفَّف عنه من العذاب.



---

(١) متفق عليه: تقدم.

(٢) رواه مسلم (١٨٣).

٦٧-والجَنَّةُ والنّارُ[١] مَخلوقتانِ لا تفْنيانِ، فالجَنَّةُ مأوى أوليائه، والنّارُ عِقابٌ لأعدائِهِ، وأهلُ الجنَّةِ فيها مُخلَّدونَ ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف:٧٤-٧٥].

---

(١) قال العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله: قوله والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان... إلخ أجمع أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان لأن أدلة الكتاب والسنة الدالة على ذلك وقصة آدم ودخوله الجنة وإخراجه منها معلومة عند كل من قرأ القرآن الكريم أو سمعه ويرحم الله ابن القيم حيث قال :

فحي على جنات عدن فإنها　　　منازلنا الأولى وفيها المخيم

وقد وردت الأحاديث الكثيرة الدالة على وجود الجنة والنار كما في حديث صلاة الكسوف الذي صرح به النبي عليه السلام في رؤية الجنة والنار وأجمع أهل السنة والجماعة على أن الجنة لا تفنى ولا تبيد لقوله تعالى: ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ وغير ذلك من الأدلة.

وأما النار فكذلك عند جمهور السلف لاتفنى ولا تبيد ولا يخرج منها أحد من أهلها كما قال تعالى: ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ بل أهل الجنة وأهل النار خالدون فيهما كما جاء في الحديث الصحيح. «يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت» وقد نقل عن بعض العلماء السالفين القول بفناء النار ونسب ذلك إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ولكنه لم يثبت عنه، وكذلك تلميذه ابن القيم بسط القول في هذه المسألة في كتابه شفاء العليل وحادي الأرواح ولكنه لم يجزم بفناء النار بل قال بعد أن ذكر أكثر من عشرين دليلًا على ذلك إن قيل إلى أين انتهى قدمك في هذه المسألة العظيمة ؟قيل: إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ولكنه صرح في كتاب الوابل الصيب. أن الجنة والنار لا تفنيان وأن النار التي تفنى نار عصاة الموحدين.

تنبيه: أورد ابن القيم في شفاء العليل وحادي الأرواح قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِين ﴾ في حق أهل النار والصراب أنها قيلت في أهل الجنة فليحفظ ثم اعلم أن مقصد أهل السنة والجماعة من ذكر خلق الجنة والنار وعدم فنائها الرد على الجهم وأتباعه المخالفين لنصوص الكتاب والسنة بآرائهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة .

وقد تصدى ابن القيم وغيره من أهل السنة لحكاية أقوالهم والرد عليها ونصر السنة والذب عنها. والجهم إنما سلك هذا المذهب الوخيم طردًا للدليل عنده وهو الدليل المسمى بدليل الأكوان إذ مبناه على قطع التسلسل وهو منع حوادث لا أول لها؛ فكذلك يمتنع حوادث لا آخر لها والرد عليه مبسوط في النونية وقد حكى ابن القيم قول الجهم في فناء الجنة والنار ورد عليه في أبيات منها :

=

الشرح

الجنة والنار:

الجنة لغة: البستان الكثير الأشجار، **وشرعا:** الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين.

والنار لغة: معروفة، **وشرعا:** الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين.

وهما مخلوقتان الآن؛ لقوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران:١٣٣]. وفي النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝٢٤﴾ [البقرة: ٢٤].

والإعداد: التهيئة؛ ولقوله ﷺ حين صلى صلاة الكسوف: «**إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرًا قط أفظع منها**»[1] متفق عليه.

والجنة والنار لا تنفيان؛ لقوله: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البينه:٨].

والآيات في تأبيد الخلود في الجنة كثيرة، وأما في النار فذكر في ثلاثة مواضع في النساء: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [النساء: ١٦٨-١٦٩].

وفي الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥].

=

وقضى بأن النار لم تخلق ولا ... جنات عدن بل هما عدمان
فإذا هما خلقا ليوم معادنا ... فهما على الأوقات فانيتان
وتلطف العلاف من أتباعه ... فأتى بضحكة جاهل مجان
قال الفناء يكون في الحركات لا ... في الذات واعجبا لذا الهذيان

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٧)، ومسلم (٩٠٧).

وفي الجن: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن:٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف:٧٤-٧٥].

مكان الجنة والنار:

الجنة في أعلى عليين؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [المطففين:١٨].

وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر: «**فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض**»(١).

والنار في أسفل سافلين؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ [المطففين:٧].

وقوله ﷺ في الحديث البراء بن عازب السابق: «**فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السلفى**».

أهل الجنة، وأهل النار:

أهل الجنة كل مؤمن تقي؛ لأنهم أولياء الله، قال الله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]. ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد:٢١].

وأهل النار كل كافر شقي، قال الله تعالى في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ﴾ [هود:١٠٦].



٦٨- ويُؤْتَى بالموْتِ في صورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فيُذبَحُ بين الجنَّةَ والنّارِ، ثم يُقال: «يا أهلَ الجنَّةِ خلودٌ ولا موْتَ، ويا أَهْلَ النَّارِ خلودٌ ولا موْتَ»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٠٦٣)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، بنحوه في الجامع الصغير (١٦٧٦).

(٢) رواه البخاري (٦٥٤٤، ٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

الشرح

ذبح الموت:

الموت: زوال الحياة، وكل نفس ذائقة الموت، وهو أمر معنوي غير محسوس بالرؤية، ولكن الله تعالى يجعله شيئًا مرئيًا مجسمًا، ويذبح بين الجنة والنار؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي، يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم:٣٩]»[1]. أخرجه البخاري في تفسير هذه الآية.

وروى نحوه في صفة الجنة والنار من حديث ابن عمر مرفوعا.



(١) انظر التخريج السابق.

فصل حقوق النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

٦٩- ومحمدٌ رسولُ الله ﷺ خاتَمُ النَّبِيِّينَ وسَيِّدُ المرسلينَ، لا يصحُّ إيمـانُ عبْدٍ حتّى يُؤمِنَ برسالته، ويشهَدَ بنبوتِه، ولا يُقْضَى بيْنَ النَّاسِ في القيامَةِ، إلَّا بشفاعَتِهِ، ولاَ يَدْخُلُ الجنَّةَ أُمَّةٌ إلَّا بعْدَ دُخولِ أُمَّتِه.

٧٠- صاحِبُ لِواءِ الحمْدِ والمقامِ المحمودِ والحوْضِ الموْرودِ، وهوَ إمـامُ النَّبيّينَ، وخَطِيبُهم، وصاحِبُ شفاعتِهم.

أمّتُه خيرُ الأممِ، وأصحابُه خيرُ أصحابِ الأنبياءِ عليهم السّلامُ.

الشرح

أفضل الخلق عند الله: الرسل، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون، وقد ذكر الله هذه الطبقات في كتابه في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء:٦٩].

وأفضل الرسل أولو العزم منهم، وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد -عليهم صلوات من الله والتسليم-.

وقد ذكر الله في موضعين من كتابه: في الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ﴾ [الأحزاب:٧].

وفي الشورى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ﴾ [الشورى:١٣].

وأفضلهم محمد ﷺ لقوله ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»[1] متفق عليه. وصلاتهم خلفه ليلة المعراج، وغير ذلك من الأدلة.

ثم إبراهيم؛ لأنه أبو الأنبياء، وملته أصل الملل، ثم موسى؛ لأنه أفضل أنبياء بني إسرائيل، وشريعته أصل شرائعهم، ثم نوح وعيسى لا يجزم بالمفاضلة بينهما؛ لأن لكل منهم مزية.

خصائص النبي ﷺ

اختص النبي ﷺ بخصائص نتكلم على ما ذكر المؤلف منها:

١- خاتم النبيين؛ لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

٢- سيد المرسلين، وسبق دليله.

٣- لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥].

الآية وغيره من الأنبياء يبعثون إلى أقوام معينين كل إلى قومه.

٤-لا يُقضى بين الناس إلا بشفاعته، وسبق دليل ذلك في الشفاعة.

٥- سبق أمته الأمم في دخول الجنة؛ لعموم قوله ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة**» وسبق.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

٦- صاحب لواء الحمد، يحمله ﷺ يوم القيامة، ويكون الحامدون تحته؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر**»(١). رواه الترمذي، وقد روى الأولى والأخيرة مسلم.

٧- صاحب المقام المحمود، أي: العمل الذي يحمده عليه الخالق والمخلوق، لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

وهذا المقام هو ما يحصل من مناقبه ﷺ يوم القيامة من الشفاعه وغيرها.

٨- صاحب الحوض المورود، والمراد: الحوض الكبير الكثير واردوه، أما مجرد الحياض فقد مر أن لكل نبي حوضًا.

٩-١١- إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم؛ لحديث أُبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر**»(٢). رواه الترمذي وحسنه.

١٢-أمته خير الأمم؛ لقوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فأما قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ [البقرة: ٤٧].

فالمراد: عالمي زمانهم.



(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣١٤٨، ٣٦١٥)، ولمسلم (٢٢٧٨) الجزئين الأول والأخير كما ذكر، وصححه العلامة الألباني في جامع الترمذي (٥/ ٣٠٨، ٥/ ٥٨٧)، والجامع الصغير (١٤٦٨)، وصحيح الترغيب والترهيب (٣٥٤٣)

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٦١٣)، وصححه العلامة الألباني في جامع الترمذي (٥/ ٥٨٦).

٧١- وأفضلُ أمّتِه أبو بكرٍ الصِّديقُ، ثُم عمرُ الفاروقُ، ثُم عثمـانُ ذو النُّورَينِ، ثُم عَليّ المُرْتَضَى رضي الله عنه أجْمَعِينَ؛ لِمَا رَوى عبْدُ الله بنُ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: كنَّا نقولُ والنبيُّ ﷺ حيٌّ: أَفْضَلُ هذه الأمّة بعْدَ نبيّها أبو بكرٍ، ثمّ عمرُ، ثم عثمـانُ، ثم عليّ فيبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ فلا يُنْكِرُه[1].

٧٢- وصحَّتِ الرِّوايَةُ عنْ عليّ رضي الله عنه أنّهُ قالَ: خَيرُ هذهِ الأمةِ بعد نبيِّها أبو بكرٍ ثم عمرُ ولو شئتُ لسميْتُ الثَّالثَ[2].

٧٣- ورَوى أبو الدّرْدَاءِ عَنِ النبيِّ ﷺ أنّه قال: **«مَـا طَلَعَتِ الشَمْسُ وَلاَ غَرُبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ عَلَى أفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ»**[3].

٧٤-وَهُو أَحَقُّ خَلْقِ الله بالخِلافَةِ بعْدَ النبيِّ ﷺ لفَضْلِه وسَابِقَتِه، وتَقْدِيمِ النبيِّ ﷺ له في الصّلاةِ على جميع الصّحابةِ رضي الله عنهم، وإجمـاعِ الصّحابة على تقْديمِه ومُبايَعَتِه، ولم يكنِ اللهُ ليَجْمَعَهم على ضَلالةٍ.

٧٥-ثم مِنْ بعده عمرُ رضي الله عنه لفضْلِه وعَهْدِ أبي بكرٍ إليه.

٧٦-ثم عثمـانُ رضي الله عنه لتقْديم أهلِ الشُّورى له.

٧٧-ثم عليٌّ رضي الله عنه لفَضلِه، وإجمـاعِ أهلِ عصْرِه عليه.

٧٨-وهؤلاءِ الخلفاءُ الرّاشدون المهديّون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: **«عَلَيْكُمْ بِسُنّتِي وَسُنّةِ الخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ المُهْدِيّـينِ مِنْ بَعْدِي، عَضّوا عَلَيْهَا بِالنّوَاجِذِ»**[4].

---

(١) ذُكِرَ هذا الأثر في تحفة الأحوذي في شرح حديث رقم (٣٧٠٧).

(٢) انظر مسند أحمد (٨٣٨، ٨٨١، ٩٣٦)

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٥).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه العلامة الألباني في سنن أبي داود (٤/ ٢٠٠)، والجامع الصغير (٢٥٤٩).

٧٩-وقال ﷺ: «الخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً»[١] فكان آخرُها خلافةَ عليٍّ رضي الله عنه[٢].

الشرح

فضائل الصحابة:

الصحابي: من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمنًا به ومـات على ذلك.

وأصحاب النبي ﷺ أفضل أصحاب الأنبياء؛ لقول النبي ﷺ: «**خير الناس قرني**»[٣]. الحديث رواه البخاري وغيره.

وأفضل الصحابة: المهاجرون؛ لجمعهم بين الهجرة والنصرة، ثم الأنصار.

وأفضل المهاجرين: الخلفاء الأربعة الراشدون: أبو بكر، وعمر، وعثمـان، وعلي رضي الله عنهم.

فأبو بكر: هو الصديق عبد الله بن عثمـان بن عامر من بني تيم بن مرة بن كعب أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وصاحبه في الهجرة ، ونائبه في الصلاة والحج، وخليفته في أمته، أسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة: عثمـان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، توفي في جمـادى الآخرة سنة ١٣ هـ عن ٦٣ سنة، وهؤلاء الخمسة مع أبي بكر وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثه هـم الثمـانية الذين سبقوا الناس بالإسلام. قاله ابن إسحاق، يعني: من الذكور بعد الرسالة.

وعمر: هو أبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب من بني عدي بن كعب بن لؤي، أسلم في السنة السادسة من البعثة بعد نحو أربعين رجلًا وإحدى عشرة امرأة، ففرح

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٢٢٦)، وأبو داود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧)، وصححه العلامة الألباني في جامع الترمذي (٤/ ٥٠٣).

(٢) **قال العلامة الألباني** : قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله. «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٣) .

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ومواضع)، ومسلم (٢٥٣٣).

المسلمون به وظهر الإسلام بمكة بعده، استخلفه أبو بكر على الأمة فقام بأعباء الخلافة خير القيام إلى أن قُتل شهيدًا في ذي الحجة سنة ٢٣ هـ عن ٦٣ سنة.

وعثمان: هو أبو عبد الله ذو النورين عثمان بن عفان من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم كان غنيًا سخيًّا، تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب باتفاق أهل الشورى إلى أن قُتل شهيدًا في ذي الحجة سنة ٣٥هـ عن ٩٠ سنة على أحد الأقوال.

وعلي: وهو أبو الحسن علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، أول من أسلم من الغلمان، أعطاه رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر ففتح الله على يديه، وبويع بالخلافة بعد قتل عثمان رضي الله عنه فكان هو الخليفة شرعًا إلى أن قُتل شهيدًا في رمضان سنة ٤٠هـ عن ٦٣ سنة.

وأفضل هؤلاء الأربعة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، لحديث ابن عمر رضي الله عنه: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان»[(١)]. رواه البخاري.

ولأبي داود: «كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان».

زاد الطبراني في رواية: «فيسمع ذلك النبي ﷺ فلا ينكره».

هذا ولم أجد اللفظ الذي ذكره المؤلف بزيادة علي بن أبي طالب.

وأحقهم بالخلافة بعد النبي ﷺ: أبو بكر رضي الله عنه؛ لأنه أفضلهم وأسبقهم إلى الإسلام؛ ولأن النبي ﷺ قدمه في الصلاة؛ ولأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على تقديمه ومبايعته ولا يجمعهم الله على ضلالة، ثم عمر رضي الله عنه؛ لفضله وتقديم أهل الشورى له،

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٥).

وهم المذكورون في هذا البيت

علي وعثمان وسعد وطلحه زبير وذو عوف رجال المشورة

ثم علي رضي الله عنه؛ لفضله وإجماع أهل عصره عليه.

وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال فيهم النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ».

وقال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة». رواه أحمد وأبو داود والترمذي، قال الألباني: وإسناده حسن. فكان آخرها خلافة علي، هكذا قال المؤلف، وكأنه جعل خلافة الحسن تابعة لأبيه أو لم يعتبرها، حيث إنه رضي الله عنه تنازل عنها.

فخلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال، من ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هـ إلى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ.

وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام، من ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ إلى ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣هـ.

وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنتا عشرة سنة إلا اثنى عشر يومًا، من (١) محرم سنة ٢٤هـ إلى ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥هـ.

وخلافة علي رضي الله عنه أربع سنوات وتسعة أشهر، من ١٩ ذي الحجة سنة ٣٥ هـ إلى ١٩ رمضان سنة ٤٠هـ.

فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام.

ثم بويع الحسن بن علي رضي الله عنهما يوم مات أبوه علي رضي الله عنه، وفي ربيع الأول سنة ٤١هـ سلم الأمر إلى معاوية، وبذلك ظهرت آية النبي ﷺ في قوله: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة». وقوله في الحسن: «إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يصلح به فئتين

عظيمتين من المسلمين»[١]. رواه البخاري.

فالحسن سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وهو أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، ولد في ١٥ رمضان سنة ٣ ومات في المدينة ودفن في البقيع في ربيع الأول ٥٠هـ.

والحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وهو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولد في شعبان سنة ٤ هـ وقُتل في كربلاء في ١٠ محرم سنة ٦١هـ، وثابت وهو ابن قيس ابن شماس الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار قتل شهيدا يوم اليمامة سنة ١١هـ في آخرها أول سنة ١٢هـ.



٨٠- ونَشْهَدُ للعشَرةِ بالجنّةِ، كما شَهِدَ لهم النبي ﷺ فقال: «أَبو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وعُمَرُ فِي الجنَّةِ، وعُثْمَانُ في الجنَّةِ، وعَلِيٌّ في الجنّةِ، وطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، والزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وسَعْدٌ فِي الجنَّةِ، وسَعِيدٌ في الجنّةِ، وعبدُ الرّحمنِ بنُ عوفٍ في الجنّةِ، وأَبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ في الجَنَّةِ»[٢].

٨١- وكُلُّ مَنْ شَهِدَ له النبيُّ ﷺ بالجنَّةِ شَهِدْنَا له بها، كقوله: «الحَسَنُ والحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[٣]، وقولِه لثابِتِ بنِ قيْسٍ: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٤٧، ٣٧٤٨)، وصححه العلامة الألباني في الجامع الصغير (٥٠)، وجامع الترمذي (٥/ ٦٤٧)، ومشكاة المصابيح (٦١٠٩)

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٦٨، ٣٧٨١)، وابن ماجه (١١٨)، وصححه العلامة الألباني في الجامع الصغير (٤٧، ٦٣).

٨٢- ولا نَجْزِمُ لأحدٍ مِنْ أهلِ القِبْلَةِ بجنَّةٍ[٢] ولا نارٍ إلَّا مَنْ جَزَمَ لَهُ الرّسول ﷺ، لَكِنَّا نَرجو للمُحْسِنِ ونَخَافُ على المُسيءِ.

الشرح

الشهادة بالجنة أو النار:

الشهادة بالجنة أو النار ليس للعقل فيها مدخل؛ فهي موقوفة على الشرع ؛ فمن شهد له الشارع بذلك؛ شهدنا له، ومن لا؛ فلا؛ لكننا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء.

وتنقسم الشهادة بالجنة أو بالنار إلى قسمين: عامة وخاصة.

فالعامة: هي المعلقة بالوصف مثل أن نشهد لكل مؤمن بأنه في الجنة أو لكل كافر بأنه في النار أو نحو ذلك من الأوصاف التي جعلها الشارع سببًا لدخول الجنة أو النار.

والخاصة: هي المعلقة بشخص: مثل أن نشهد لشخص معين بأنه في الجنة أو لشخص معين بأنه في النار، فلا نعين إلا ما عينه الله أو رسوله.

والمعينون من أهل الجنة:

المعينون من أهل الجنة كثيرون، ومنهم : العشرة المبشرون بالجنة، وخُصوا بهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٣، ٤٨٤٦) في قصته لما نزل قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم.....) الآية.

(٢) **قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في تعليقه على العقيدة الطحاوية:** إلا العشرة المبشرين بالجنة، وعبدالله بن سلام وغيرهم فإنا نشهد لهم بالجنة على شهادة الرسول ﷺ، ومن ضلال بعض الكتَّاب اليوم وجهلهم غمزهم لعبدالله بن سلام بيهوديته قبل إسلامه، مع شهادة النبي ﷺ له بالجنة كما في «صحيح البخاري» وليت شعري أي فرق بين من كان يهوديًا فأسلم، وبين من كان وثنيًا وأسلم لولا العصبية القومية الجاهلية. بلى هناك فرق، فقد جاء في «الصحيحين» قوله ﷺ: «**ثلاث لهم أجرهم مرتين ...**» فذكر منهم «**ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه**». فهذا له أجران دون الوثني إذا أسلم، فله أجر واحد.

الوصف؛ لأن النبي ﷺ جمعهم في حديث واحد فقال: «أبو بكر في بالجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»[١] رواه الترمذي، وصححه الألباني.

وقد سبق الكلام على الخلفاء الأربعة؛ وأما الباقون فجمعوا في هذا البيت:

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة وعامر فهر والزبير الممدح

فطلحة: هو ابن عبيد الله من بني تيم بن مرة، أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، قُتل يوم الجمل في جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ عن ٦٤ سنة.

والزبير: هو ابن العوام من بني قصي بن كلاب، ابن عمة رسول الله ﷺ، انصرف يوم الجمل عن قتال علي، فلقيه ابن جرموز فقتله في جمادى الأولى سنة ٣٦ عن ٦٧ سنة.

وعبد الرحمن بن عوف: من بني زهرة بن كلاب، توفى سنة ٣٢هـ عن ٧٢ سنة ودفن بالبقيع.

وسعد بن أبي وقاص: هو ابن مالك من بني عبد مناف بن زهرة، أول من رمى بسهم في سبيل الله، مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة،ودفن بالبقيع سنة ٥٥هـ عن ٨٢سنة.

وسعيد بن زيد: هوابن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، كان من السابقين إلى الإسلام توفي بالعقيق ودفن بالمدينة سنة ٥١هـ عن بضع وسبعين سنة.

أبو عبيدة: هو عامر بن عبد الله بن الجراح من بني فهر، من السابقين إلى الإسلام، توفى في الأردن في طاعون عمواس سنة ١٨ عن ٥٨سنة.

وممن شهد له النبي ﷺ بالجنة: الحسن، والحسين،وثابت بن قيس.

---

(١) تقدم تخريجه.

قال النبي ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»(١) رواه الترمذي. وقال حسن صحيح.

وقال ﷺ في ثابت بن قيس: «**إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة**»(٢). رواه البخاري.

المعينون من أهل النار في الكتاب والسنة:

من المعينين بالقرآن: أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان؛ لقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد:١] إلى آخر السورة.

ومن المعينين بالسنة: أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب؛ لقول النبي ﷺ: «**أهون أهل النار عذابا أبو طالب؛ وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه**»(٣)، رواه البخاري.

ومنهم عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي، قال النبي ﷺ: «**رأيته يجر أمعاءه في النار**»(٤) رواه البخاري وغيره.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

ذكر في هذه الجمل(٥) الكلام على معتقد أهل السنة و الجماعة في صحابة رسول الله ﷺ، فهم يعتقدون أن خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ هم صحابة رسول الله ﷺ، كما جاء

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٣، ٤٨٤٦) في قصته لما نزل قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم.....) الآية.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٢١)، ومسلم (٢٨٥٦).

(٥) يقصد -حفظه الله- من الفقرة (٦٩) إلى الفقرة (٨٢).

ذلك في غير ما حديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «خير هذه الأمة قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»(١) وهذا عام لكل الصحابة، فكل صحابي يثبت هذا الفضل، فجنس الصحابة أفضل من جنس من بعدهم، والصحابة متفاوتون في الفضل، فأفضل الصحابة وأعلاهم مقامًا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ويليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم علي رضي الله عنه، وهؤلاء هم الخلفاء الأربعة الراشدون، فترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة؛ ترتيبهم في الفضل عند أهل السنة كترتيبهم في الخلافة، وكان هناك خلاف في القرن الأول هل يقدم علي على عثمان في الفضل أم لا يقدم؟ مع إقرار الجميع أن عثمان أولى بالخلافة من علي، لكن هل علي أفضل أم عثمان؟

فكان من أهل الكوفة من أهل السنة من يقول: إن عليًّا أفضل، وبعضهم وهم الجمهور والعامة يقولون: إن عثمان أفضل، وهذا هو الذي استقرت عليه عقائد أهل السنة والجماعة من الأخذ بقول عامة علمائهم، بل الأخذ بقول علي وقول الصحابة؛ من أن ترتيب الصحابة في الفضل كترتيبهم في الخلافة، فعثمان مقدم على علي رضي الله عنه.

وأولئك كانوا يسمَّون في الزمن الأول الشيعة؛ فمن فضَّل عليًّا على عثمان نُسِب إلى التشيّع، وهو غير الرفض الموجود بعد ذلك الذي من علاماته سب الشيخين ولعنهما والتبري من عثمان ومعاوية رضي الله وعن جميع الصحابة، والذين يقولون: إنه لم يصح إيمان الصحابة إلا نفرًا؛ فقد ارتد الأكثرون إلا طائفة.

الصحابة طبقاتهم في الفضل من حيث الإجمال: أنَّ المهاجرين أفضل الصحابة، ويليهم الأنصار، ثم من شهد بيعة الرضوان، ثم من أسلم قبل الفتح - فتح مكة-، ثم من أسلم بعد ذلك، قال جل وعلا: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ومواضع)، ومسلم (٢٥٣٣) بألفاظ شتى.

أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد:١٠]، والفتح المراد به هنا صلح الحديبية، فلا يستوي من بايع بيعة الرضوان ومن أسلم بعد ذلك، فهذه طبقاتهم في الفضل إجمالًا، ونقول أيضًا: إن جنس الصحابة أفضل من جنس من جاء بعدهم؛ لكن قد يكون في أفراد من بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة؛ **لكن من حيث الجنس والعموم فالصحابة أفضل هذه الأمة**، لكن قد يكون فيمن بعدهم أفضل من بعض الصحابة في مقامات الإيمان والجهاد والإحسان كما قرر ذلك أهل العلم، فالكلام على الجنس من حيث إن الصحابة هم أفضل.

وأفضل المهاجرين وأفضل الصحابة؛ بل أفضل هذه الأمة العشرة المبشرون بالجنة؛ وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة بن عبد الله، والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فهؤلاء العشرة هم أفضل المهاجرين، وهم أفضل الصحابة أيضًا، وهم أفضل هذه الأمة.

قال: (**لا نشهد لمعين بجنة ولا نار**).

قبل هذا نذكر حكم من سبّ الصحابة؛ سب الصحابة ينقسم إلى أقسام:

◄ **الأول**: إن سبَّ جميعهم، أو حكم على أكثرهم بالكفر والردة إلا نفرًا، فإن هذا كفر؛ لأنه ردّ شهادة الله جل وعلا بقوله: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، قد ثبت أن الذين بايعوا تحت الشجرة كانوا ألفًا وأربعمائة، وفي بعض الروايات أنه كانوا ألفًا وخمسمائة.

◄ **القسم الثاني**: أن يسبَّ بعضًا منهم، فهذا فيه تفصيل، وإن سبَّ بعضًا منهم من جهة اعتقاد؛ أعني أن اعتقد فيهم أنهم أخطئوا، وأنهم فرطوا، وأنهم أصابهم ما

أصابهم من جهة اعتقاد، كما يعتقد الخوارج، فإن هذا من كبائر الذنوب، ولا يعد مخرجًا من الملة، وإن كان سبّ بعضهم من جهة الغيظ تغيظًا عليهم، وحقدًا عليهم، فإن هذا كفر وخروج من الملة، قال أهل العلم: لأن الله جل وعلا قال في وصف صحابة رسول الله ﷺ ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩] فمن كان في قلبه غيظ على صحابة رسول الله ﷺ فيوصف بما وصفه الله جل وعلا به من أنه من الكفار، أما أمهات المؤمنين؛ فحكم سبهم حكم سب الصحابة.

وأما قذف أمهات المؤمنين أو واحدة منهن، عائشة وغيرها، أعني أنها لم تكن عفيفة، فهو كفر بالله، من قذف امرأة من نساء رسول الله ﷺ فقد كفر؛ لأنه ردَّ قول الله جل وعلا، وما حكم به لنبيه ﷺ، وهذا يختلف عن حال من قذف في عهده ﷺ؛ لأن أولئك نزلت الآيات بعد شأنهم في حادثة الإفك المشهورة، وأما بعد ذلك لمّا نزلت الآيات في التبرئة وبعد نزول قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور:١٧]، فجعل ذلك شرط الإيمان بعد ذلك، فمن قذف امرأة من نساء رسول الله ﷺ فإنه يكفر بذلك، كما قرره أهل العلم.

وفي المسألة مباحث أخرى يطلبها المستزيد من مظانه.

ومما ذكره المؤلف أننا لا نشهد لمعين بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ، وقد شهد رسول الله ﷺ لأناس غير العشرة المبشرين؛ فشهد للحسن والحسين رضي الله عنهما، وشهد لعكاشة، وشهد لجماعة، فمن شهد له رسول الله ﷺ؛ شهدنا له بالجنة، وأما غيرهم لا ننزل أحدًا جنة ولا نارًا، لكن قال بعض أهل العلم مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، ومثل غيره من المتقدمين: يُلحق بذلك من شهدت له الأمة بأجمعها بأنه من أهل الجنة، واستفاض عنه أنه من أئمة الإسلام، فشهدت له الأمة، فإنه يلحق بذلك ولا بأس بالشهادة له، وهذا أخذًا من قوله عليه الصلاة والسلام لما مُر عليه بجنازة: «هذه

أثنيتم عليها خيرًا وجبت لها الجنة، وهذه أثنيتم عليها شرًّا فوجبت لها النار، أنتم شهداء الله في أرضه»[١].



٨٣- ولاَ نُكفِّرُ أحدًا مِنْ أهلِ القِبلةِ بذَنْبٍ[٢]، ولاَ نُخْرِجُهُ عَنِ الإسلامِ بِعَمَلٍ.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٤٢)، ومسلم (٩٤٩).

(٢) **قال العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله في تعليقه على العقيدة الطحاوية:** قوله ولا نكفر أحداً من أهل القبلة .. إلخ، المراد بأهل القبلة هم الموحدون الله في عبادته؛ المخلصون له في معاملته، العاملون بمعنى كلمة التوحيد ظاهراً وباطناً، المصدقون لرسول الله في جميع ما أخبر به، الممتثلون أمره الذين لم يأتوا بما يناقض لا إله إلا الله، وإلى هذا المعنى أشار المصنف بقوله سابقاً ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي معترفين وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين لأننا نعتقد أن المراد الإيمان الكامل المتضمن للاعتقاد والإقرار والعمل ومراد الشيخ رحمه الله بهذا الكلام الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب .

* **قال العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله في تعليقه على الطحاوية:** مراده رحمه الله أن أهل السنة والجماعة لا يكفرون المسلم الموحد المؤمن بالله واليوم الأخر بذنب يرتكبه كالزنا وشرب الخمر والربا وعقوق الوالدين وأمثال ذلك ما لم يستحل ذلك فإن استحله كفر لكونه بذلك مكذباً لله ولرسوله خارجاً عن دينه أما إذا لم يستحل ذلك فإنه لا يكفر عند أهل السنة والجماعة بل يكون ضعيف الإيمان وله حكم ما تعاطاه من المعاصي في التفسيق وإقامة الحدود وغير ذلك حسبما جاء في الشرع المطهر وهذا هو قول أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن سلك مسلكهم الباطل فإن الخوارج يكفرون بالذنوب والمعتزلة يجعلونه في منزلة بين المنزلتين يعني بين الإسلام والكفر في الدنيا وأما في الآخرة فيتفقون مع الخوارج بأنه مخلد في النار، وقول الطائفتين باطل بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وقد التبس أمرهما على بعض الناس لقلة علمه ولكن أمرهما بحمد الله واضح عند أهل الحق كما بينا وبالله التوفيق.

* **قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في تعليقه على العقيدة الطحاوية:** يعني استحلالاً قلبياً اعتقادياً، وإلا فكل مذنب مستحل لذنبه عملياً أي مرتكب له، ولذلك فلا بد من التفريق بين المستحل اعتقاداً فهو كافر إجماعاً، وبين المستحل عملاً لا اعتقاداً فهو مذنب يستحق العذاب اللائق به إلا أن يغفر الله له، ثم ينجيه إيمانه خلافاً للخوارج والمعتزلة الذين يحكمون عليه بالخلود في النار وإن اختلفوا في تسميته=

٨٤-ونَرَى الحَجَّ والجِهَادَ مـاضيًا مع طاعَةِ كلِّ إمـامٍ بَرًّا كان أو فَاجِرًا، وصلاةُ الجمعةِ خلفَهم جائزةٌ.

٨٥- قال أَنَسٌ: قال النبيُّ ﷺ: «ثَلاَثٌ مِنْ أَصْلِ الإِيمَـانِ: الكَفُّ عمَّنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إلا الله وَلاَ تُكَفِّرْهُ بِذَنْبٍ وَلاَ تُخْرِجْهُ مِنَ الإِسْلاَمِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَـاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي الله عزّ وجلّ حتّى يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدّجّالَ لاَ يُبْطِلُه جَوْرُ جَائِرٍ وَلاَ عَدْلُ عَادِلٍ، وَالإِيمَـانُ بالأَقْدَارِ»[1] رواه أبو داود.

الشرح

تكفير أهل القبلة بالمعاصي:

أهل القبلة: هـم المسلمون المصلون إليها، لا يُكفَّرون بفعل الكبائر، ولا يخرجون من الإسلام بذلك، ولا يخلدون في النار؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟

= كافراً أو منافقاً، وقد نبتت نابتة جديدة اتبعوا هؤلاء في تكفيرهم جماهير المسلمين رءوسًا ومرءوسين، اجتمعت بطوائف منهم في سوريا ومكة وغيرها، ولهم شبهات كشبهات الخوارج مثل النصوص التي فيها من فعل كذا فقد كفر، وقد ساق الشارح رحمه الله تعالى طائفة منها هنا، ونقل عن أهل السنة القائلين بأن الإيمـان قول وعمل، يزيد وينقص – أن الذنب أي ذنب كان؛ هو كفر عملي لا اعتقادي، وأن الكفر عندهم على مراتب: كفر دون كفر، كالإيمـان عندهم، ثم ضرب على ذلك مثالاً هاماً طالما غفلت عن فهمه النابتة المشار إليها، فقال رحمه الله تعالى (ص ٣٢٣) وهنا أمر يجب أن يُتفطَّن له، وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة، ويكون كفراً: إما مجازياً ، وإما كفراً أصغر، على القولين المذكورين. وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بمـا أنزل الله غير واجب، وأنه مخيَّر فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله: فهذا كفرٌ أكبر. وإن اعتقد وجوب الحكم بمـا أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص ويسمى كافراً كفراً مجازياً، أو كفراً أصغر. وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطئ له أجرٌ على اجتهاده، وخطؤه مغفور.

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٢٥٣٢)، وضعفه العلامة الألباني في مشكاة المصابيح (٥٩).

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩]

إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠] .

فأثبت الأخوة الإيمانية مع القتال وهو من الكبائر، ولو كان كفرًا لانتفت الأخوة الإيمانية.

وقال النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه**»[1] يعني: من النار. متفق عليه.

وخالف في هذا طائفتان:

الأولى الخوارج: قالوا فاعل الكبيرة كافر خالد في النار.

الثانية المعتزلة: قالوا: فاعل الكبيرة خارج عن الإيمان ليس بمؤمن ولاكافر، في منزلة بين منزلتين وهو خالد في النار.

ونرد على الطائفتين بما يأتي:

١- مخالفتهم لنصوص الكتاب والسنة.

٢- مخالفتهم لإجماع السلف.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

مما تميز به أهل السنة أنهم لا يكفِّرون أحدًا بذنب ما لم يستحله، والاستحلال اعتقاد، وليس فعل المعصية أو الإقرار عليها استحلالًا؛ فمن فعل المعصية أو أقرّ من يفعل المعصية من الكبائر أو ما دونها، فإن هذا كبيرة من كبائر الذنوب، ومحرم من المحرمات بحسب حال تلك المعصية، ولا يُعَدُّ استحلالًا، فلا يُكفِّر أهل السنة والجماعة بذنب ما لم يستحله صاحبه، **واستحلاله أن يعتقد أنه حلال،** أي: أن يعتقد.

---

(١) تقدم بنحو من هذا.

أن هذا الأمر الذي حرّمه الله جل وعلا في صورته التي حرمها الله جل وعلا؛ حلال لأنه يكون ممن ردّ حكم الله جل وعلا فأحل الحرام، فلا يكفر أهل السنة أحدًا بذنب إلا إذا استحله؛ يعني اعتقد بقلبه أنه حلال.

من مميزات أهل السنة والجماعة أنهم يرون الحج والجهاد ماضيين مع أئمة المسلمين بارين كانوا أو فاجرين، فطاعة أئمة المسلمين الذين حصلت إمامتهم، إمّا باختيار من أهل الحل والعقد، أو غلبة بسيف وسنان، كلهم تنعقد لهم الإمامة الشرعية، ويبقى لهم حق الطاعة في المعروف، والجهاد معهم وعدم عصيانهم؛ لأن طاعتهم من طاعة الله ورسوله، فالخروج عليهم، أو عدم اعتقاد وجوب طاعتهم، هذا من اعتقادات الخوارج والمعتزلة.

فإنّ المعتزلة ضمنوا أصولهم الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر، **وجعلوا ذلك مضمّنًا للخروج على الأئمة؛** أئمة المسلمين، إذا رأوا منهم ظلمًا، أو رأوا منهم كثرة عمل للمعاصي، أو كثرة ممارسة للكبائر والمنكرات.

والخوارج خرجوا بها على هذا الأصل، وكذلك المعتزلة يرون الخروج ويعتقدونه دينًا؛ لأجل هذا الأصل.

وكذلك جماعة كبيرة من الأشاعرة يرون الخروج جائزًا للجَوْرِ ولانتشار الكبائر ونحو ذلك.

أما أهل السنة والجماعة فيرون أنه ما دام اسم الإسلام باقيًا على الإمام؛ فإنه تجب طاعته في المعروف، ولا يجوز الخروج عليه، وهذا مما يميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم؛ بل كان أئمة أهل الحديث، وأئمة أهل السنة يمتحنون الناس في زمن الفتن؛ في أواخر القرن الثالث والرابع بهذا الأمر هل يرون الطاعة أم لا يرونها؟ بل قال الأئمة: علامة أهل السنة الدعاء للأئمة يعني للسلاطين، وعلامة أهل البدعة الوقيعة

في السلاطين. وهذا ظاهر لمن تأمل هدي أهل السنة والجماعة، وتأمل أصولهم، وارجعوا في هذا الأمر إلى «الإبانة» لابن بطة، وارجعوا إلى كتاب البربهاري وهو من أئمة أهل السنة والجماعة فقد فصّل في ذلك تفصيلا بيّنًا؛ لأجل ما ظهر في زمنه من كثرة المخالفين في هذا الأصل العظيم.

فأهل السنة يرون أن الوِلاية الشرعية تحصل عن أحد طريقين:

إما باختيار من أهل الحل والعقد.

وإما بغلبة. فمن غلب ودعا الناس إلى بيعته فتجب بيعته، ومن اختير من أهل الحل والعقد ودعا أهل الحل والعقد إلى بيعته وجبت بيعته، وقد حصل هذا في الإسلام.

فبيعة الخلفاء الراشدين كانت عن اختيار، وبيعة الولاة وأمراء المؤمنين من بني أمية وبني العباس وما بعدهم إلى زمننا هذا حصلت بالغلبة، لا بالاختيار، وكل من الحالين أمر شرعي، تلزم عنه وتتفرع عنه الأحكام الشرعية من الطاعة وعدم جواز الخروج، ومن المحبة والنصرة فيما أوجب فيه الله جل وعلا النصرة وأمر فيه، وهذا مما يتميز به أهل السنة عن الخوارج والمبتدعة.

وفي هذا الزمان كثرت المخالفة في هذا الأصل العظيم، والناجي من نجاه الله جل وعلا، وكثير ممن يعتني بمنهج أهل السنة والجماعة، **لا يعتني بمنهجهم في الإمامة،** وأهل السنة والجماعة عقائدهم يجب أخذها جميعًا دون تفريق بين باب وباب؛ لأننا إذا فرقنا نكون على شيء من الهوى، فهذه الأبواب تسمى عند أهل العلم (أبواب الاعتقاد في الإمامة)؛ لأنهم خالفوا بذلك الخوارج والمعتزلة وطوائف من الأشاعرة.

ﮧﮧ ◊ ﮨﮨ

٨٦- ومِنَ السُّنّةِ تَوَلِّي أصحابَ رسولِ الله ﷺ ومحبَّتُهم، وذِكْرُ محاسنِهم، والتَّرَحُّمُ عليهم، والاستغفارُ لهم، والكَفُّ عن ذِكْرِ مساويهم، ومَا شَجَرَ بَيْنَهُم، واعتِقادُ فَضْلِهِم، ومعرفةُ سابقَتِهم. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر:١٠].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩].

الشرح

حقوق الصحابة رضي الله عنهم:

للصحابة رضي الله عنهم فضل عظيم على هذه الأمة، حيث قاموا بنصرة الله ورسوله، والجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وحفظ دين الله بحفظ كتابه وسنة رسوله ﷺ علمًا وعملًا وتعليمًا؛ حتى بلغوه الأمة نقيًّا طريًا.

وقد أثنى الله عليهم في كتابه أعظم ثناء حيث يقول في سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ [الفتح:٢٩] إلى آخر السورة.

وحمى رسول الله ﷺ حمى كرامتهم حيث يقول ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**[١] متفق عليه، فحقوقهم على الأمة من أعظم الحقوق فلهم على الأمة:

١- محبتهم بالقلب والثناء عليهم باللسان بما أسدوه من المعروف والإحسان.

٢- الترحم عليهم والاستغفار لهم؛ تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر:١٠].

٣- الكف عن مساوئهم التي إن صدرت عن أحد منهم فهي قليلة بالنسبة لما لهم من المحاسن والفضائل، وربما تكون صادرة عن اجتهاد مغفور وعمل معذور؛ لقوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي» الحديث.



٨٧- وقال النبيُّ ﷺ: «لا تَسبّوا أصحابي، فلو أنّ أحدَكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهَباً ما بَلغَ مُدّ أحدِهم ولا نَصيفَه»[١].

الشرح

حكم سب الصحابة:

سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم، أو أن عامتهم فسقوا، فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم؛ بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقله الكتاب أو السنة كفَّار أو فسَّاق.

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح ففي كفره قولان لأهل العلم ، وعلى القول بأنه يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم كالجبن والبخل، فلا يكفر، ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك، ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب (الصارم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

المسلول) ونقل عن أحمد في (ص ٥٧٣) قوله : «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك أُدِّب، فإن تاب وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع».



٨٨- ومِنَ السُّنّةِ التَّرَضِّي عَنْ أَزْواجِ رسولِ الله ﷺ، أُمَّهاتِ المؤمنينَ المُطَهَّراتِ، المُبَرَّآتِ مِنْ كلِّ سوءٍ، أفضلُهنّ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ وعائشةُ الصّديقةُ بنتُ الصّديقِ التي بَرّأَهَا اللهُ في كتابِهِ، زَوْجُ النبيِّ ﷺ في الدنيا والآخرةِ، فمَنْ قَذَفَهَا بما بَرَّأَها اللهُ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ باللهِ العظيم .

الشرح

حقوق زوجات النبي ﷺ: زوجات النبي ﷺ، زوجاته في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين، ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين، فهن من آل بيته طاهرات مطهرات، طيبات مطيبات، بريئات مبرآت من كل سوء يقدح في أعراضهن وفرشهن، فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات، فرضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين ، وصلى الله وسلم على نبيه الصادق الأمين.

زوجاته ﷺ اللاتي كان فراقهن بالوفاة وهن:

١- خديجه بنت خويلد أم أولاده ما عدا إبراهيم، تزوجها رسول الله ﷺ بعد زوجين: الأول عتيق بن عابد، والثاني : أبو هالة التميمي، ولم يتزوج ﷺ عليها حتى ماتت سنة ١٠ من البعثة قبل المعراج.

٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق، أُريها ﷺ في المنام مرتين أو ثلاثًا وقيل: «هذه امرأتك»[١]، فعقد عليها ولها ست سنين بمكة ودخل عليها في المدينة ولها تسع سنين، توفيت سنة ٥٨هـ.

٣- سودة بنت زمعة العامرية، تزوجها بعد زوج مسلم هو السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو، توفيت آخر خلافة عمر، وقيل سنة ٥٤هـ.

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب، تزوجها ﷺ بعد زوج مسلم هو خنيس ابن حذافة الذي قتل في أحد، ومـاتت سنة ٤١هـ.

٥- زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين ، تزوجها بعد استشهاد زوجها عبد الله ابن جحش في أُحد، ومـاتت سنة ٤هـ بعد زواجها بيسير.

٦- أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، تزوجها بعد موت زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد من جراحة أصابته في أُحد، ومـاتت سنة ٦١هـ.

٧- زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته ﷺ تزوجها بعد مولاه زيد بن حارثة سنة ٥هـ ومـاتت سنة ٢٠هـ.

٨- جويرية بنت الحارس الخزاعية، تزوجها بعد زوجها بعد زوجها مسافع بن صفوان، وقيل: مـالك بن صفوان سنة ٦هـ ومـاتت سنة ٥٦هـ.

٩- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، تزوجها بعد زوج أسلم ثم تنصر هو عبيد الله بن جحش، ومـاتت في المدينة في خلافة أخيها سنة ٤٤هـ.

١٠- صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير، من ذرية هارون بن عمران ﷺ أعتقها وجعل عتقها صداقها بعد زوجين: أولهمـا سلام بن مشكم، والثاني: كنانة بن أبي الحقيق بعد فتح خيبر سنة ٦هـ ومـاتت سنة ٥٠هـ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٩٥، ٥٠٧٨، ومواضع)، ومسلم (٢٤٣٨).

١١- ميمونة بنت الحارث الهلالية، تزوجها سنة ٧هـ في عمرة القضاء بعد زوجين: الأول : ابن عبد ياليل، والثاني: أبو رهم بن عبد العزى، بني بها في سرف وماتت فيه سنة ٥١هـ.

فهذه زوجات النبي ﷺ اللاتى كان فراقهن بالوفاة، اثنتان توفيتا قبله، وهما: خديجة وزينب خزيمة، وتسع توفي عنهن وهن البواقي.

وبقى اثنتان لم يدخل بهما ولا يثبت لهما من الأحكام والفضيلة ما يثبت للسابقات وهما:

١- أسماء بنت النعمان الكندية، تزوجها النبي ﷺ ثم فارقها، واختلف في سبب الفراق، فقال إسحاق: إنه وجد في كشحها[1] بياضًا ففارقها، فتزوجها بعده المهاجر بن أبي أمية.

٢- أمية بنت النعمان بن شراحيل الجونية، وهى التي قالت: «أعوذ بالله منك» ففارقها[2]، والله أعلم.

وأفضل زوجات النبي ﷺ : خديجة وعائشة رضي الله عنهما ، ولكل منهما مزية على الأخرى، فلخديجة في أول الإسلام ما ليس لعائشة من السبق والمؤازرة والنصرة، ولعائشة في آخر الأمر ما ليس لخديجة من نشر العلم ونفع الأمة، وقد برأها الله مما رماها به أهل النفاق من الإفك في سورة النور.

قذف أمهات المؤمنين:

قذف عائشة بما برأها الله منه كفر؛ لأنه تكذيب للقرآن، وفي قذف غيرها من أمهات المؤمنين قولان لأهل العلم: أصحهما: أنه كفر؛ لأنه قدح في النبي ﷺ ، فإن

---

(١) الكشاح: الخصر.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٥٤)، وغيره.

الخبيثات للخبيثين.



٨٩- ومعاويةُ خالُ المؤمنينَ، وكاتِبُ وحْيِ الله، أحدُ خلفاءِ المسلمينَ رضي الله عنهم.

الشرح

معاوية بن أبي سفيان:

هو أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وأسلم عام الفتح، وقيل: أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه، ولَّاه عمر الشام واستمر عليه، وتسمى بالخلافة بعد الحكمين عام ٣٧هـ واجتمع الناس عليه بعد تنازل الحسن بن علي سنة ٤١هـ كان يكتب للنبي ﷺ ومن جملة كُتَّاب الوحي، توفي في رجب سنة ٦٠هـ عن ٧٨ سنة، وإنما ذكره المؤلف وأثنى عليه للرد على الروافض الذين يسبونه ويقدحون فيه، وسمَّاه خال المؤمنين لأنه أخو أم حبيبة إحدى أمهات المؤمنين؛ وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (ص١٩٩ ج٢) نزاعًا بين العلماء. هل يقال لإخوة أمهات المؤمنين أخوال المؤمنين أم لا؟



٩٠- ومِنَ السُّنَّةِ السَّمْعُ والطاعَةُ لأئمةِ المسلمينَ وأُمَرَاءِ المؤمنينَ[١]، بَرِّهِمْ وفَاجِرِهِمْ[٢]، ما لم يأمروا بمعصيةِ الله، فإنَّه لا طاعَةَ لأحدٍ في معصيةِ الله.

٩١- ومَنْ وَلِي الخلافةَ، واجتمعَ عليه النّاسُ ورَضُوا بِهِ، أوْ غلبَهُم بسيْفِهِ حتى صَارَ الخليفة، وسُمِّيَ أميرَ المؤمنينَ، وجبَتْ طاعتُهُ، وحَرُمَتْ مُخَالفَتُهُ والخُروجُ عَلَيهِ وشَقُّ عصَا المسلمينَ.

الشرح

الخلافة:

الخلافة منصب كبير ومسئولية عظيمة، وهي تولي وتدبير أمور المسلمين بحيث يكون هو المسئول الأول في ذلك، وهي فرض كفاية؛ لأن أمور الناس لا تقوم إلا بها، وتحصل الخلافة بواحد من أمور ثلاثة:

---

(١) **قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في تعليقه على العقيدة الطحاوية:** ومن الواضح أن ذلك خاص بالمسلمين منهم لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:٥٩] وأما الكفار المستعمرون فلا طاعة لهم، بل يجب الاستعداد التام مادة ومعنى لطردهم، وتطهير البلاد من رجسهم.
وأما تأويل قوله تعالى: ﴿منكم﴾ أي فيكم! فبدعة قاديانية ودسيسة إنكليزية، ليضلوا المسلمين، ويحملوهم على الطاعة للكفار المستعمرين، طهر الله بلاد المسلمين منهم أجمعين.

(٢) **قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في تعليقه على العقيدة الطحاوية:** وفي هذا بيان لطريق الخلاص من ظلم الحكام الذين هم «من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا» وهو أن يتوب المسلمون إلى ربهم، ويصححوا عقيدتهم، ويربوا أنفسهم وأهليهم على الإسلام الصحيح، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١]، وإلى ذلك أشار أحد الدعاة المعاصرين بقوله: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم، تقم لكم على أرضكم». وليس طريق الخلاص ما يتوهم بعض الناس، وهو الثورة بالسلاح على الحكام. بواسطة الانقلابات العسكرية، فإنها مع كونها من بدع العصر الحاضر، فهي مخالفة لنصوص الشريعة التي منها الأمر بتغيير ما بالأنفس، وكذلك فلا بد من إصلاح القاعدة لتأسيس البناء عليها ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٤٠]

الأول: النص عليه من الخليفة السابق كما في خلافة عمر بن الخطاب، فإنها بنص من أبي بكر رضي الله عنه.

الثاني: اجتماع أهل الحل والعقد سواء كانوا معينين من الخليفة السابق كما في خلافة عثمان رضي الله عنه فإنها باجتماع من أهل الحل والعقد المعينين من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أم غير معينين كما في خلافة أبي بكر على أحد الأقوال، وكما في خلافة علي رضي الله عنه.

الثالث: القهر والغلبة كما في خلافة عبد الملك بن مروان حين قتل ابن الزبير وتمت الخلافة له.

حكم طاعة الخليفة:

طاعة الخليفة وغيره من ولاة الأمور واجبة في غير معصية الله؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

ولقوله ﷺ: **«السمع والطاعة على المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»**(١) متفق عليه.

وسواء كان الإمام برًّا وهو القائم بأمر الله فعلًا وتركًا أو فجرًا وهو الفاسق، لقوله ﷺ: **«إلا من ولي وال فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدًا من طاعة»**(٢) رواه مسلم.

والحج والجهاد مع الأئمة ماضيان نافذان، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة، سواء كانوا أبرارًا أو فجارًا لأن مخالفتهم في ذلك توجب شق عصا المسلمين والتمرد عليهم.

والحديث الذي ذكره المؤلف: **«ثلاث من أصل الإيمان .....»** إلخ ضعيف كما

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

رمز له السيوطي في الجامع الصغير، وفيه راوٍ قال المزي إنه مجهول، وقال المنذري في مختصر أبي داود: شبه مجهول.

والثلاث خصال المذكورة فيه هي: الكف عمن قال: لا إله إلا الله، والثانية : الجهاد ماض.......إلخ، والثالث: الإيمان بالأقدار.

والخروج على الإمام مُحَرَّم؛ لقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه : «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان»[1] متفق عليه.

وقال ﷺ : «**يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع**» قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «**لا، ما صلوا، لا، ما صلوا**»[2]. أي من كره بقلبه وأنكر بقلبه . رواه مسلم.

ومن فوائد الحديثين: أن ترك الصلاة كفر بواح؛ لأن النبي ﷺ لم يجز الخروج على الأئمة إلا بكفر بواح، وجعل المانع من قتالهم فعل الصلاة؛ فدل على أن تركها مبيح لقتالهم وقتالهم لا يباح إلا بكفر بواح كما حديث عبادة.

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

هذه المسائل من محبة الصحابة وتوليهم وعدم سبّهم، والكلام على أمهات المؤمنين، وحقوق الإمام المسلم مرّ معنا تفصيله، وقد سبقتُ موضعه، ويبين لك كلامه الأخير ما ذكرته سابقًا من معتقدات أهل السنة؛ أنه تحصل الإمامة الشرعية بأحد الأمرين، إما باجتماع الناس عليه، ورضاهم به، أو أن يغلبهم بسيفه، ولو لم يرضَ الناس،

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٩٩، ٧٢٠٢)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

ويدعو الناس لمبايعته، فيصبح خليفة، أو يصبح أميرًا للمؤمنين، أو يصبح إمامًا، أو يصبح حاكمًا، فتجب طاعته، ويحرم الخروج عليه، وشق عصا المسلمين عنه، فالولايات الشرعية قسمان:

ولاية اختيارية، وولاية تغلّبية، وقد بيّن ذلك أتم بيان الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى بما ذكر من اعتقاد أئمة أهل السنة.



٩٢- ومِنَ السُّنّةِ هِجْرانُ أهْلِ البِدعِ[١]، ومُبَايَنَتُهُم وتَرْكُ الجِدَالِ والخُصُومَاتِ في الدّينِ، وتَرْكُ النَّظَرِ في كُتُبِ المبتدعةِ، والإصْغاءُ إلى كلامِهِم، وكلُّ مُحْدَثَةٍ في الدِّينِ بِدْعَةٌ.

---

(١) قال العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله: كل مذهب خالف ما عليه أهل السنة والجماعة مذهب ردي باطل وقد رد الله على المشبهة والجهمية المعطلة بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فالمشبه يعبد صنما، والمعطل يعبد عدمًا، والمثبت يعبد ربًّا واحدًا فردًا صمدًا، وما أحسن قول ابن القيم في النونية:

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا … إن المشبه عابد الأوثان

كلا ولا نخليه من أوصافنا … إن المعطل عابد البهتان

ثم اعلم أن الجهمية نفاة الصفات، والجبرية الذين قالوا ليس للعبد فعل اختياري والقدرية الذين قالوا أن العباد يخلقون أفعالهم، والرافضة الذين كفروا الصحابة وسلكوا مسلك الجهمية في نفي الصفات، كل هذه الفرق من فرق الزيغ والضلال والجهم هو الذي ابتدع التعطيل والجبر والإرجاء كما حكاه في النونية وإن نسب منها شيء إلى غيره فلكونه نصرها و أيدها وما أحسن ما قيل:

تخالف الناس فيما قد رأوا ورووا … وكلهم يدعون الفوز بالظفر

فخذ بقول يكون النص ينصره … إما عن الله أو عن سيد البشر

الشرح

هجران أهل البدع:

الهجران: مصدر هجر، وهو لغة: الترك، والمراد بهجران أهل البدع: الابتعاد عنهم وترك محبتهم، وموالاتهم، والسلام عليهم، وزيارتهم، وعيادتهم، ونحو ذلك.

وهجران أهل البدع واجب؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة:٢٢].

ولأن النبي ﷺ هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك.

لكن إن كان في مجالستهم مصلحة لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك وربما يكون ذلك مطلوبًا؛ لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. وهذا قد يكون بالمجالسة والمشافهة، وقد يكون بالمراسلة والمكاتبة.

ومن هجر أهل البدع : ترك النظر في كتبهم؛ خوفًا من الفتنة بها أو ترويجها بين الناس، فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب؛ لقوله ﷺ في الدجال: «**من سمع به فلينأ عنه فو الله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات**»[١].

رواه أبو داود، قال الألباني: وإسناده صحيح.

لكن إن كان الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به، وكان قادراً على الرد عليهم، بل كان واجبًا؛ لأن رد البدعة واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وصححه العلامة الألباني في سنن أبي داود (١١٦/٤)، والجامع الصغير (٦٣٠١).

الجدال والخصام فِي الدين:

الجدال: مصدر جادل، والجدل: منازعة الخصم للتغلب عليه، **وفِي القاموس:** الجدل: اللداد في الخصومة، والخصام المجادلة، فهمـا بمعنى واحد.

وينقسم الخصام والجدال فِي الدين إلى قسمين:

الأول: أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل، وهذا مـامور به إمـا وجوبًا أو استحبابًا بحسب الحال؛ لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

الثاني: أن يكون الغرض منه التعنيت أو الانتصار للنفس أو للباطل؛ فهذا قبيح منهي عنه؛ لقوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر:٤].

وقوله: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝﴾ [غافر: ٥].

قال الشيخ صالح -حفظه الله-:

قال: (**من السنة هِجران أهل البدع ومباينتهم**) وهذا هو الذي كان أئمة أهل السنة يوصون به من عدم غشيان المبتدعة في مجالسهم ولا مخالطتهم، بل هِجرانهم بالكلام، وهجرانهم بالأبدان، حتى تُخمد بدعهم، وحتى لا ينتشر شرهم، فالدخول مع المبتدعة ومساكنتهم، سواء كانت البدع صغيرة أو كبيرة، والسكوت عن ذلك، وعدم هِجرانهم، والاستئناس لهم، وعدم رفع الرأس بحالهم مع بدعهم، من حال أهل الضلال؛ إذْ أهل السنة تميزوا بأنهم لهم الموقف الأعظم الذي فيه القوة والشدة مع أهل البدع مهمـا كانت البدع، فيهجرون أهل البدع؛ لأن هجر المبتدع من أصول الإسلام، بل من أصول أهل السنة؛ لأن جنس البدع أعظم من الكبائر، فالبدعة أشد وأعظم من الكبائر، وذلك من خمس جهات، نذكر بعضًا منها:

الأولى: أن البدعة من باب الشبهات، والكبائر من باب الشهوات، وباب الشبهات يعسر التوبة منه، بخلاف أبواب الشهوات، ولهذا جاء في الأحاديث من حديث معاوية وغيره، أن النبي ﷺ قال في وصف أهل البدع: **«تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه لا يبقَى منه عرق ولا مفصل إلا دخله»**(١) وقد بيّن عليه الصلاة والسلام إن صحّ الحديث وقد صحّحه جمع من العلماء أنه قال: **« أبى الله أن يقبل توبة صاحب بدعة حتى يدع بدعته»**(٢) وقد جاء في ذلك أيضًا بعض الأحاديث، التي منها ما يصح، ومنها ما لا يصح، ومنها ما رُوي أنه قال: **«من وقَّر صاحب بدعة؛ فقد أعان على هدم الإسلام»**(٣).

ونلاحظ اليوم أن هذه المسألة فيها تَرْكٌ لهذا الأصل، فكثير من الناس يُخالط المبتدعة ولا يهجرهم بحجج شتى؛ إمّا دنيوية، وإما تارة تكون دعوية أو دينية، وهذا مما ينبغي التنبه له والتحذير منه؛ لأن هِجران أهل البدع متعين، فلا يجوز مخالطتهم بدعوى أن ذلك للدعوة، ولا مخالطتهم بدعوى أن ذلك للدنيا، ولا مخالطتهم وعدم الإنكار عليهم بدعوى أن هذا فيه مصلحة كذا وكذا، إلا لمن أراد أن ينقلهم لما هو أفضل مما هم فيه، وأن ينكر عليهم ويغيّر عليهم.

الاهتمام بالسنة والرد على المبتدعة هذا كما تعلمون ظاهر في حال أئمة أهل الإسلام، فقد كانت حياتهم في الرد على المبتدعة، ولم يشغلوا أنفسهم بالرد على الكفار الأصليين من اليهود والنصارى، فإذا رأيت كلام الإمام أحمد، وسفيان، وحمّاد بن زيد، أو حمّاد بن سلمة، ونعيم وهم أئمة أهل السنة، والأوزاعي، وإسحاق، وعلي بن

(١) صحيح: صححه العلامة الألباني في المشكاة (١٧٢)، وصحيح الترغيب (٥١).

(٢) صححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٦٩٩)، وصحيح الترغيب (٥٤) بلفظ **(إن الله احتجر التوبة على كل صاحب بدعة)**.

(٣) ضعفه العلامة الألباني في المشكاة (١٨٩)، وقال رواه البيهقي في شعب الإيمان مرسلاً.

المديني، ونحوهم من أهل السنة والإسلام، وجدتَ أن جُلّ كلامهم وجهادهم إنما هو في الرد على المبتدعة وفي نقض أصول المبتدعة، وإن كانوا باقين على أصل الإسلام، ولم يشغلوا أنفسهم بالرد على اليهود والنصارى وسائر ملل أهل الكفر، وذلك لأن شر المبتدع لا يظهر على أهل الإسلام، ولا يؤمَن على أهل الإسلام، أما الكافر الأصلي من اليهود والنصارى فشرُّه وضرره بيِّن وواضح لكل مسلم؛ لأن الله جل وعلا بيَّن ذلك في كتابه، وهم ظاهرون.

أما أهل البدع فالشر منهم كثير، ولهذا لا يحسن أن يُنسب لأهل السنة والجماعة أنهم مفرّطون في الرد على اليهود والنصارى ومنشغلون بالرد على أهل الإسلام، كما قاله بعض العقلانيين من المعتزلة وغيرهم: إن أهل السنة انشغلوا بالرد على أهل الإسلام، وتركوا الرد على الكفار من اليهود والنصارى، وسائر أهل الملل الزائفة.

وهذا سببه هو ما بينته لكم أن شر البدع أعظم؛ لأن هؤلاء يدخلون على المسلمين باسم الإسلام، وأما أولئك ففي القلب منهم نفرة أعني: اليهود والنصارى، فهدي أئمة الإسلام كان ظاهرًا في الرد على المبتدعة، والرد على أهل الأهواء، ولم يعرف عنهم كبير عمل في الرد على اليهود والنصارى، وليس معنى ذلك أن المؤمنين من أهل السنة لا ينشغلون بالرد على اليهود والنصارى، لا، ولكن نذكر ما تميز به أئمة أهل السنة وإلا فالرد على كل معادٍ للإسلام من الكفار الأصليين، ومن أهل البدع متعيِّن وفرض، لكن من انشغل بالرد على المبتدعة لا يقال له: لم تركت اليهود والنصارى فلم ترد عليهم وانشغلت بهؤلاء؟

نقول: هذا هدي الأئمة الأولين، وكلٌّ يرد في مجاله؛ منا من يرد على اليهود والنصارى، ومنا من يرد على المبتدعة، ونحن جميعًا نكون حامين لبيْضة الإسلام من تلبيسات الملبِّسين، وبدع المبتدعين، وشرك المشركين، وضلالات الكفار من اليهود

والنصارى وغيرهم.



٩٣- وكلُّ مُتَسَمٍّ بِغَيْرِ الإسلامِ والسُّنَّةِ مبتدعٌ، كالرافضةِ والجهميةِ، والخوارجِ، والقَدَريّةِ والمرجئةِ، والمعتزلةِ، والكَرَّامية، والكُلاّبيّة، ونَظَرَائِهم[١]، فَهَذِهِ فِرَقُ الضَّلالِ وطَوَائفُ البِدَعِ أعاذَنَا اللهُ منْها.

الشرح

علامة أهل البدع وذكر بعض طوائفهم:

لأهل البدع علامات، منها:

١- أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة بما يحدثونه من البدع القولية والفعلية والعقيدية.

٢- أنهم يتعصبون لآرائهم، فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم.

٣- أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين.

---

(١) قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: كالمقلدة الذين جعلوا التقليد دينًا واجبًا على كل ما جاء بعد القرن الرابع من الهجرة، وأعرضوا بسبب ذلك عن الاهتداء بنور الكتاب والسنة، واتهموا كل من حاول الخلاص من الجمود المذهبي، إلى التمسك بهدي النبي ﷺ بما شاءت لهم أهواؤهم، ورحم الله إمام السنة إذ يقول:

دين النبي محمد أخبار ... نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وآله ... فالرأي ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى أثر الهدى ... والشمس بازغة لها أنوار

ومن طوائفهم:

١ - **الرافضة:** هم الذين يغلون في آل البيت، ويكفرون من عداهم من الصحابة أو يفسقونهم، وهم فرق شتى، فمنهم الغلاة الذين ادعوا أن عليًّا إله ومنهم دون ذلك.

وأول ما ظهرت بدعتهم في خلافة علي بن أبي طالب حين قال له عبد الله ابن سبأ: أنت الإله؛ فأمر علي رضي الله عنه بإحراقهم، وهرب زعيمهم عبد الله بن سبأ إلى المدائن.

ومذهبهم في الصفات مختلف: فمنهم المشبه، ومنهم المعطل، ومنهم المعتدل، وسموا رافضة؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين سألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فترحم عليهما؛ فرفضوه وأبعدوا عنه، وسموا أنفسهم شيعة؛ لأنهم يزعمون أنهم يتشيعون لآل البيت وينتصرون لهم، ويطالبون بحقهم في الإمامة.

٢- **الجهمية:** نسبة إلى الجهم بن صفوان الذي قتله سالم – أو سلم- بن أحوز سنة ١٢١هـ.

مذهبهم في الصفات: التعطيل والنفي، وفي القدر: القول بالجبر، وفي الإيمان: القول بالإرجاء ، وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب، وليس القول والعمل من الإيمان، ففاعل الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، فهم معطلة جبرية مرجئة، وهم فرق كثيرة.

٣- **الخوارج:** وهم الذين خرجوا لقتال علي بن أبي طالب بسبب التحكيم.

مذهبهم: التبرؤ من عثمان وعلي، والخروج على الإمام إذا خالف السنة، وتكفير فاعل الكبيرة وتخليده في النار ، وهم فرق عديدة.

٤- **القدرية:** وهم الذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العبد، وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلين عن إرادة الله وقدرته؛ وأول من أظهر القول به: معبد الجهني في أواخر

عصر الصحابة، تلقاه عن رجل مجوسي في البصرة، وهم فرقتان: غلاة وغير غلاة، فالغلاة: ينكرون علم الله وإرادته وقدرته وخلقه لأفعال العبد، وهؤلاء انقرضوا أو كادوا، وغير الغلاة: يؤمنون بأن الله عالم بأفعال العباد، لكن ينكرون وقوعها بإرادة الله وقدرته وخلقه، وهو الذي استقر عليه مذهبهم.

٥- **المرجئة**: وهم الذين يقولون بإرجاء العمل عن الإيمـان – أي: تأخيره عنه – فليس العمل عندهم من الإيمـان، والإيمـان مجرد الإقرار بالقلب، فالفاسق عندهم مؤمن كامل الإيمـان وإن فعل مـا فعل من المعاصي أوترك مـا ترك من الطاعات وإذا حكمنا بكفر من ترك بعض شرائع الدين فذلك لعدم الإقرار بقلبه لا لترك هذا العمل، وهذا مذهب الجهمية، وهومع مذهب الخوارج على طرفي نقيض.

٦- **المعتزلة**: أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وقرر أن الفاسق في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر،وهو مخلد في النار، وتابعه في ذلك عمرو ابن عبيد، ومذهبهم في الصفات: التعطيل، كالجهمية، وفي القدر: قدرية، ينكرون تعلق قضاء الله وقدره بأفعال العبد، وفي فاعل الكبيرة: أنه مخلد في النار، وخارج من الإيمـان في منزلة بين منزلتين الإيمـان والكفر، وهما عكس الجهمية في هذين الأصلين.

٧- **الكرامية**: أتباع محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥هـ يميلون إلى التشبيه والقول بالإرجاء، وهم طوائف متعددة.

٨- **السالمة**: أتباع رجل يقال له: ابن سالم، يقولون بالتشبيه.

وهذه هي الطوائف التي ذكرها المؤلف، ثم قال: ونظائرهم مثل الأشعرية أتباع أبي الحسن علي بن إسمـاعيل الأشعري، كان في أول أمره يميل إلى الاعتزال حتى بلغ الأربعين من عمره، ثم أعلن توبته من ذلك، وبين بطلان مذهب المعتزلة، وتمسك بمذهب أهل السنة – رحمه الله – أمـا من ينتسبون إليه فبقوا على مذهب خاص يعرف

بمذهب الأشعرية، لا يثبتون من الصفات إلا سبعًا، زعموا أن العقل دلَّ عليها، ويؤولون ما عداها، وهي المذكورة في هذا البيت:

حي عليم قدير والكلام له   إرادة وكذاك السمع والبصر

ولهم بدع أخرى في معنى الكلام والقدر وغير ذلك.



٩٤- وأمَّا بِالنّسْبَةِ إلى إمامٍ في فُروعِ الدِّينِ كالطَّوَائِفِ الأَرْبَعِ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ، فَإِنَّ الاخْتِلافَ في الفُروعِ رَحْمَةٌ، وَالْمُخْتَلِفونَ فِيهِ مَحْمُودُونَ فِي اخْتلافِهِمْ، مُثَابُونَ فِي اجْتِهَادِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ رَحْمَةٌ واسِعَةٌ، وَاتِّفَاقُهُمْ حُجَّةٌ قاطِعَةٌ.

٩٥- نَسْأَلُ الله أَنْ يَعْصِمَنا مِنَ الْبِدَعِ وَالْفِتْنَةِ، وَيُحْيِينَا عَلَى الإسْلامِ وَالسُّنةِ، وَيَجْعَلنَا مِمَّنْ يَتَّبِعُ رَسُولَ الله ﷺ في الحَياةِ، وَيَحْشُرَنا في زُمْرَتِهِ بَعْدَ المَماتِ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ آمِينَ.

وَهَذَا آخِرُ الْمُعْتَقَدِ.

وَالحَمْدُ لله وَحدهُ، وَصلَّى الله علىَ سَيِّدنَا مُحمدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

الشرح

الخلاف في الفروع:

الفروع : جمع فرع، وهو لغة: ما بني على غيره، **واصطلاحا:** ما لا يتعلق بالعقائد، كمسائل الطهارة والصلاة ونحوها.

والاختلاف فيها ليس مذموم، حيث كان صادرًا عن نية خالصة واجتهاد، لا عن هوى وتعصب؛ لأنه وقع في عهد النبي ﷺ ولم ينكره؛ حيث قال في غزوة بني قريظة:

«لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»، فحضرت الصلاة قبل وصولهم، فأخر بعضهم الصلاة حتى وصلوا بني قريظة، وصلى بعضهم حين خافوا خروج الوقت، ولم ينكر النبي ﷺ على واحد منهم[١]. رواه البخاري، ولأن الاختلاف فيها موجود في الصحابة وهم خير القرون؛ ولأنه لا يورث عداوة ولا بغضاء ولا تفرق كلمة، بخلاف الاختلاف في الأصول.

وقول المؤلف: «المختلفون فيه محمودون في اختلافهم». ليس ثناء على الاختلاف فإن الاتفاق خير منه، وإنما المراد به نفي الذم عنه، وأن كل واحد محمود على ما قال؛ لأنه مجتهد فيه مريد للحق، فهو محمود على اجتهاده واتباع ما ظهر له من الحق وإن كان قد لا يصيب الحق.

وقوله: «إن الاختلاف في الفروع رحمة، وإن اختلافهم رحمة واسعة» أي: داخل في رحمة الله وعفوه؛ حيث لم يكلفهم أكثر مما يستطيعون ولم يلزمهم بأكثر مما ظهر لهم، فليس عليهم حرج في هذا الاختلاف؛ بل هم فيه داخلون تحت رحمة الله وعفوه، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد.

الإجماع وحكمه:

الإجماع لغة : العزم والاتفاق. **واصطلاحا:** اتفاق العلماء المجتهدين من أمة محمد ﷺ على حكم شرعي بعد النبي ﷺ، وهو حجة؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩]. وقول النبي ﷺ: **«لا تجتمع أمتي على ضلالة»**[٢] رواه الترمذي.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦، ٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢١٦٧)، وصححه العلامة الألباني في جامع الترمذي (٤/ ٤٦٦).

قال الشيخ صالح-حفظه الله-:

اختلف الأئمة في مسائل الفقه، قال الموفق بن قدامة: (واختلافهم رحمة) وهذا صحيح باعتبار، وغير صحيح باعتبار آخر:

- **فاختلافهم رحمة صحيح باعتبار** أنهم بذلوا وُسْعهم لإرشاد الناس، وحصل مع بذل الوسع والاجتهاد الاختلاف، فيقال: اختلافهم رحمة؛ إذا كان سبب الاختلاف ناشئًا من أنه بذل الاجتهاد والجهد في بيان المسائل ونفع الناس، فإن كان المقصود هذا المعنى فهذا صحيح.
- **وأما إن كان المقصود أن اختلافهم على هذه الأنحاء، وهذه الأقوال المتباينة؛ رحمة رُحمت بها الأمة، فهذا غير صحيح**؛ لأن هذه الأقوال المختلفة منها ما هو مخالف للسنة، ومنها ما قد فرّق الأمة، فليست برحمة كما هو ظاهر.

فإذن قوله اختلافهم في الدين رحمة، يُمكن أن يُفسر بتفسير صحيح، ويمكن أن يفسر بتفسير خاطئ، فإن أريد به التفسير الصحيح صُحّح، وإن أريد به التفسير الخاطئ خُطِّئ.

وهذا الاختلاف ما موقفنا منه؟

الواجب أولًا أن يترحّم على جميع العلماء، وأن يُعذروا في اختلافهم، وما أخطئوا فيه من اجتهادهم المخالف للسنة لا يتَّبعون فيه، فإن العالم لا يتبع بزلته، ولا يُتبع على ما أخطأ من قوله أو في فعله، ويُحب الجميع، ونعتقد أن المجتهد منهم مأجور بأجر واحد إن أخطأ، وبأجرين إن أصاب، وأما من تبعهم في أقوالهم، فإن كان ذلك الاتباع عن تعصب بعد معرفة الدليل فهذا مذموم وباطل، وهو الذي أقام السلف الصياحات على من سار على هذا النحو؛ يقدم أقوال الرجال على ما دلت عليه الأدلة

من الكتاب والسنة.

وأما إن كان اتباعه لا عن تعصب لكن عن اقتناع باستدلالاتهم وبأصولهم، فإن ذلك لا يلام ولا يعاب على صاحبه.

ثم دعا المؤلف بدعوة عظيمة، ونحن ندعو بها، ويجب دائمًا أن نحرص على مثل هذه الدعوات؛ لأن القلب يتقلب، وهذا الزمن زمن أهواء وفتن، لا يدري المرء هل يثبت على دينه، وعلى السنة حتى يتوفاه الله، أم تعصف به الأهواء والفتن؟ قال: نسأل الله أن يعصمنا من البدع، وأن يمن علينا بلزوم السنة، ونحن نسأله جل وعلا كذلك، أن يمن علينا بلزوم السنة، والمحافظة عليها، وبنصرة أهلها، واعتقاد أئمة أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة، وأن يباعد بيننا وبين الأهواء والفتن والبدع، وبين أصحابها، وأن يجعلنا قائمين بالحق ثابتين عليه، صادعين بالحق، رادّين على الباطل، على كل من جاء بباطل.

ونسأله جل وعلا أن يجعلنا من الهداة المهتدين، السائرين على هدي السلف الصالح، الآخذين بوصية النبي ﷺ حين قال: «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ**»[1].

هذا آخر المعتقد، وهذه العقيدة المختَصَرة مع ما سمعتم من الشرح المقتضب جدًّا على هذه المسائل، لكن أحسبه أنه شمل أصول الاعتقاد، وينبغي عليكم -وقد سرّني حضوركم بمثل هذا الجمع، في هذا الوقت، مما يدل على رغبة في دراسة الاعتقاد- أن تتموا دراسة العقيدة، وأن تتوسعوا في ذلك، حتى تعرفوا تفاصيل المعتقد، فإنما يشرف المرء منا بأن يكون في دراسته للعقيدة؛ مقبلًا متوسعًا فيها؛ لأن الناس بحاجة إلى

---

(١) صحيح: تقدم.

توضيح العقائد، واليوم المعتني بذلك في صفوف الشباب، بل وفي صفوف طلبة العلم قليل، والناس اليوم في العالم كله، وخاصة في العالم الإسلامي، بل عندنا في كثير من البقاع بحاجة إلى تبيين أصول الاعتقاد والتوحيد وما يضاده؛ لأن هذا هو أصل الأصول، وإذا استقام الأصل؛ استقام ما بعده.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-:

التقليد:

التقليد لغة: وضع القلادة في العنق. **واصطلاحا:** اتباع قول الغير بلا حجة، وهو جائز لمن لا يصل إلى العلم بنفسه؛ لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل: ٤٣].

والمذاهب المشهورة أربع:

المذهب الحنفي: وإمامه أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام أهل العراق، ولد سنة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٥٠هـ.

المالكي: وإمامه أبو عبد الله مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ولد سنة ٩٣ هـ، وتوفي سنة ١٧٩هـ.

الشافعي: وإمامه أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ولد سنة ١٥٠هـ وتوفي سنة ٢٠٤هـ.

الحنبلي: وإمامه أبو عبد الله أحمد بن حنبل، ولد سنة ١٦٤هـ وتوفي سنة ٢٤١هـ.

وهناك مذاهب أخرى كمذهب الظاهرية والزيدية والسفيانية وغيرهم، وكل يؤخذ من قوله ما كان صوابا، ويترك من قوله ما كان خطأ، ولا عصمة إلا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

نسأل الله أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه وسنة رسوبه ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وأن

يتوفانا على ذلك، وأن يتولانا في الدنيا والآخرة، وألَّا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

والحمد لله كثيرًا كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه – عز جلاله– .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

تم في عصر الجمعة الموافق ١٠/ ١/ ١٣٩٢هـ

بلقم مؤلفه الفقير إلى الله

محمد الصالح العثيمين

ملحق الأسئلة[١]

سُئِل الشيخ: القرآن ليس فيه زيادة؛ فهل هذا صحيح؟

أجاب الشيخ: ليس فيه زيادة، صحيح، معنى قول: (ليس فيه زيادة) لم يُزد فيه على كلام الله شيء، فكلُّه كلام الله، ليس فيه حرف زيادة، من عند البشر، بل كله من كلام الله جل وعلا، لكن القرآن نزل بلسان عربي، وعلى وَفْق لغة العرب وسَنَنِها في كلامهم، وهذا يعني أنه تجري فيه القواعد العربية، فكونه يكون فيه لفظ زائد -ما نقول زائد- بل نقول: صلة؛ تأدبًا مع القرآن، لكن هل الزيادة هنا بمعنى أنه ما له فائدة؟ لا. أعظم فائدة هي التأكيد مثل قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ معناها فبرحمة من الله لنت لهم، فـ(مَا) في قوله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ليست نافية، المعنى المراد فبرحمة من الله لنتِ لهم، فهنا أتت (مَا) صلة، ما معنى كونها صلة؟ أنها في مقام تكرير الجملة، كأنّ الله جل وعلا قال: فبرحمة من الله لنت لهم، فبرحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك. كذلك قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ وهكذا، وهذا شيء معروف في لغة العرب.



سُئِل الشيخ: هل الكاف في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ محل إشكال؟

---

(١) هذه الأسئلة وجهت إلى فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- فأجاب عليها لذا إتمامًا للفائدة جعلناها في هذا الملحق.

أجاب الشيخ: نعم. التشبيه هنا في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] يورد إشكالًا على من جعل الكاف بمعنى (مِثْل)، وهو يقول: إذا قلنا: إن المعنى الكاف بمعنى (مِثْل) فتكون الآية (ليس مِثْلَ مِثْلِهِ شيء)، يقول: يقتضي هذا إثبات المثل؛ لأنه يكون في الآية نفي لمثل المثل، ونفي مثل المثل لا يقتضي نفي المثيل.

ونقول: هذا يصحُّ، لكن في غير لسان العرب، أمّا العربي إذا أراد أن يبالغ في نفي المثل، نفى وجود مِثْل المثل، فإذا نُفي وجود مِثْل المثل، فنفي وجود المثيل عِنْده من باب أولى، **فالعرب من لغتها إذا أرادت المبالغة الشديدة في نفي المثل، نَفَت مِثْل مِثْل المثل**؛ لأنه كأن مثل المثل لا يُلتفت إليه، فهو ينفي وجود مثيل لذلك؛ لأن هذا الأول كأنه مفروغ من أنه لا يوجد، ولكنه ذهب إلى الدرجة الثانية.

وليس معنى هذا أنه إذا نفينا الأدنى أننا نثبت الأعلى، لا، لكنها في العربية أنّه إذا أراد المبالغة في النفي نفى شِبْه الشبيه -مثل المثيل- وهذا أشد المبالغة، لكن الوجه الذي يرجحه كثير من المحققين من أهل العلم أن الكاف صلة، وهذا ظاهر ولا نحتاج معه إلى جواب عن هذا الإيراد.



سُئِل الشيخ: ما الراجح في الحروف المقطعة في أوائل السور؟

أجاب الشيخ: هذه الحروف في أوائل السور التي تسمى الحروف المقطعة، الراجح في معناها أنها للإشارة إلى أن هذا القرآن مؤلَّف -أعني كلماته متألفة، ولا نقول: مؤلَّف من باب التأليف، لا،- متألفة من جنس هذه الأحرف، وإذا كان كذلك، وهذه الأحرف هي التي يتكلم العرب بها، ويؤلفون بها كلامهم، فإنه يدل على أن هذا القرآن

معجز؛ لأنه يقول سبحانه للناس: هذا القرآن مكوَّن من هذه الأحرف التي تتكلمون بها، وتُنشئون بها كلامكم، وليس من أحرف أخر، ومع هذا أنتم لا تستطيعون أن تأتوا بشيء منه ولا بمثل عشر سور، ولا بمثل سورة منه، وهذا يدل على عظم الإعجاز.

ويدل على هذا التفسير الاستقراء، والاستقراء أحد أوجه الأدلة التي ينبغي العناية بها، فتجد أن معظم السور التي في أولها الأحرف المقطعة يُعقِبها ذكر القرآن أو الكتاب؛ قال جل وعلا ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة:١] هذه سورة البقرة ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:١-٢]، ﴿الٓمٓ ۝١﴾ آل عمران ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران:١-٣]، ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الأعراف:١] سورة الأعراف ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ [الأعراف:١-٢]، ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود:١]، ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهكذا ﴿الٓمٓ﴾ في سورة السجدة مثلًا، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت:١-٢]، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الشورى:١-٣] ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق:١].

إذن أكثر الصور التي ابتدأت بالأحرف المقطعة يُعْقِبُها ذكر الكتاب والقرآن، وهذا يدل على أنه متكونة كلماته من هذه الأحرف، فأْتوا يا كفار يا مَنْ لم تصدقوا برسالة النبي ﷺ، ائتوا بمثل هذا القرآن أو بمثل عشر سور مثله مفتريات أو بمثل سورة أو بمثل آية؛ وهذا فيه أبلغ الإعجاز، ولا يوجد في السلف؛ -في الصحابة- من يقول: لا نعلم معناها، ومن يقول: **الله أعلم بمعناها** بمعنى أنها لا يعلم أحدٌ معناها، لكن يمكن أن تجد من بعض التابعين من يقول لا أعلم معناها أو يقول: الله أعلم، لكن لا أن تُجعل لا يعلم معناها.

ولهذا فانتبه فإنه من الأمور التي يشيع فيها الخطأ أن يُقال: الأحرف المقطعة من

المتشابه، هذه من كلمـات الأشاعرة، يريدون بالمتشابه لا أحد يعلم معناها، بل لا بد أن يكون هناك طائفة تعلم معناها؛ لأن العلم محفوظ؛ العلم بمعاني الكتاب والسنة محفوظ بحفظ الكتاب والسنة.

الحروف المقطعة لا يجوز أن نقول: إنه ليس لها معنى؛ لأن القرآن أنزله الله جل وعلا وأمر بتدبره فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ولم يستثنِ الله جل وعلا آية من آية، ولا كلمة من كلمة بأمره التدبر، فأمر بتدبره، ويدخل في ذلك الحروف المقطعة، وهذا يبين لك أن القول الظاهر الصحيح الثابت هو أن الأحرف المقطعة لها معنى على نحو مـا أوضحت لك.



سُئِل الشيخ: مـا تقولون في هذا الحديث: «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**»[1]؟

أجاب الشيخ: هذا الحديث مشهور ثابت في الصحيح وفي غيره، «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**»، الرواية المشهورة: «**لا تسبوا الدهر فإني أنا الدهر أقلب الليل والنهار**» معنى ذلك أن الله جل وعلا هو الذي يصرّف الدهر، والدهر هو الأيام والليالي، فسبُّها وهي لا تصنع شيئًا يعود لسب من يسيرها، فهي لا تملك لنفسها شيئًا، والليل والنهار لا يعمل شيئًا لنفسه، لا يأتي باختياره، ولا يذهب باختياره، وإنمـا بأمر الله جل وعلا وبتدبيره، فنهى عن سب الدهر؛ لأن الله جل وعلا هو الذي يقلبه، كمـا قال: «**فإني أنا الدهر أقلب الليل والنهار**» يعني أني أنا مـالكه، ومصرفه، ومدبره، ومجريه، ومبدل آياته، أوصل الليل بالنهار، هذا يطلب هذا بأمري وقدرتي؛ وهذا متعيّن

---

(١) رواه مسلم (٢٢٤٦).

هذا التأويل؛ لأن من المعلوم أن الليل والنهار الذي هو الدهر، ليس هو الله جل وعلا، ولهذا غلط من جعل من أسماء الله جل وعلا الدهر كابن حزم ومن شابهه.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا جميعًا من أهل جنته، وأن يرحمنا برحمته، وأن يغفر لنا خطأنا وزللنا، وأن يقيمنا على السنة قائمين قاعدين، وأن يتوفانا غير خزايا ولا مفتونين، وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



الفهرست

مركز أهل الحديث
للصف والتحقيق والبحث العلمي
ت/ ٠١٠٢٩٠٣٤١٩

من إصداراتنا

شرح المقدمة الآجرومية

تأليف العلامة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي

الشهير بابن آجروم

رحمه الله

شرح فضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله

ويليه

متن الأجرومية ومتن نظم الأجرومية

لأصحاب الفضيلة العلماء

العلامة محمد ابن آب

العلامة العمريطى

العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدى

وبزيله متممة الأجرومية في علم العربية تأليف العلامة

شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني

المالكي الشهير بالحطاب

رحمه الله

تحتوى على

ملحق اسئلة خلف كل فصل

مراجعات عامة

تدريبات عامة

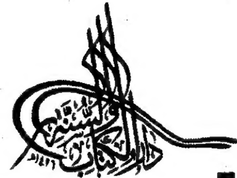
وبذيلها ملحق اسئلةعامة

نسخة مشكولة بالكامل

اعتني به مركز أهل الحديث

للتحقيق والبحث العلمي





من إصداراتنا

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

تأليف العلامة الشيخ

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله تعالي

قدم له اصحاب الفضيله

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل — محمد بن صالح العثيمين

وبذيلة

التعليقات والتنبيهات الحسان على تيسير الكريم الرحمن

لفضيلة الشيخ الدكتور
على رضا بن عبد الله المدني

لفضيلة الشيخ
محمد بن جميل زينو
المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة



الجزء الثاني

